محمد المختار السوسي



تطوان - المغرب



بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة

كنت في ذلك المنفى الاول بالغ محصوراً خمس سنوات متوالية ، لا ارى ، ولا اجتمع، ولا اجالس الا بعض من يتسربون الي في زاويتنا ، من الذين يزورونها تعهداً لمكان شيخهم الوالد رحمه الله ، فصار يراعي مرسلا في تقييد الشوارد ، واقتناص الاوابد ، اما من افواه هؤلاء الذين يمكن لي ان اتصل بهم اتصالا تاما ، واما من كتب كتبت في تاريخ تلك الناحية التي قصرت مسعاي على الاعتناء بها قصر الجد الذي يعرف ما يصنع ، فانقب في هذه الكتب وفي كل ما اتوصل به على ايدي رسل من اصحاب الوالد الذين يضنون باوقاتهم في متابعة اسفار الى ما ارسلهم اليه من كل مكان اظن فيه فائدة ، او رجال ملمين بعلوم ممن ارجو منهم في هذا الموضوع عائدة ، فلم ازل بين المداد والقرطاس ، طوال تلك السنوات ، حتى سودت ما سودت مما يراه القارئ اليوم تباعاً في كتاب «من افواه الرجال» وفي «الترياق المداوي» وفي «المعسول» وفي «سوس العالمة» وفي «ايليغ قديماً وحديثاً» وفي «مترعات الكؤوس» وفي غيرها مما ملأت به فراغ تلك السنوات التي خيمت علي فيها الوحدة ، وأرخت علي عزاليها[1]، فكانت هذه الكتابة افضل مؤنس يمسح عن الفؤاد اشجان الهموم والانكاد .

ثم لما من الله بان تنفرج عني الازمة ، سرحت اولا في سوس ، فامكن لي ان اتقرى بعض نواحيه ، فصرت اعمل خطواتي على البغال غالباً ، فاقيد كل ما سنح بلا تكلف، فتكررت الرحلات ، حتى كانت اربعا ، فجمعت الكل تحت هذا الاسم : «خلال جزولة» فهي التي يقرؤها القارئ ان شاء الله من هذه الرحله الاولى الى الرابعة ، وقد كان بودي ان تطول هذه الرحلات حتى تستوعب كل نواحي سوس ، ولكن هذا ما تيسر ، ثم انقطعت بعد تسريحي التام الى مراكش مختتم 1364 ه ، فالتهمتني الحواضر ، ثم عدت عواد جدد منعت من اتمام هذه المنية كما احب .

ثم جاءت الازمة الكبرى فانتقلت من الحمراء الى البيضاء . ثم جاء الاعتقال والنفي الثاني الى الصحراء، ثم لم نكد نرجع من هناك حتى دهم الاستقلال الذي جعل في رجلي قيداً لا اجد منه حرية ، حتى انني متى وردت الى سوس ، فانما هي اقتبالات ومجتمعات

---

1) العزالي بفتح اللام وكسرها : مصب الماء من الراوية .

لا فراغ معها لاتمام تلك الامنية، وقد تجمعت عندي مواد اخرى عن بعض نواح لم اكن زرتها في هذه الرحلات لا تليق الا لامثالها ، ولكن كيف يتيسر الان من ذلك ما نريد ؟

وبعد فهاك الرحلة الاولى الساذجة ، واعتقد انها دون اخواتها الاتية من وجهات شتى، لا في الفوائد ، ولا في ذكر الاثار ، فاقبلها بفضلك على علاتها .

ثم ان هناك رحلة اخرى اقدم من هذه الاربع: «من الحمراء الى ايلغ» كنت كتبتها عام 1354 هـ لا تدخل تحت ذيل هذه وان كان لها لونها ووصفها ، وما ذلك الا لانها اقدم منها ، وهي تتكلم على حاحة ، وايداوتانان ، واكادير .

والله اسال ان يجعل كل ما خرمشنا من عفو الكلام ولغوه لا لنا ولا علينا ان لم نفز فيه بما يقربنا الى الله ، والسلام على عباده الذين اصطفى .

الرباط 25 ـ 2 ـ 1379 هـ

م خ س



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(من إيلغ الى تارودانت)

الحمد لله الذي دحى الارض فسواها، وجعل جوانبها للمسافرين ذللا، والصلاة والسلام على الذي كان يلازم الاسفار ليزداد اعتبارا ونشرا للدين الذي أمر بتبليغه لكل أحد، وعلى آله وأصحابه الذين غادروا في سبيل الله جزيرتهم فشرقوا وغربوا، واعرقوا واشأموا، فكانوا نباريس العالم، وسادة العادلين، من بين جميع الفاتحين.

أما بعد فقد مضت خمس سنوات تامة بعد اليوم الذي أمرت أن انزوى الى إيلغ، فكادت النفس فيها لولا لطف الله تصدأ مرآتها، ويأجن [1] ماؤها ويغيم افقها، ثم إنه لما صرح لي في 13 ـ 12 ـ 1360 هـ باني مطلق السراح في سوس، تطلعت الى ان اغتنم الفرصة بحسب الطاقة لاستتم المجهودات التي كنت افتتحتها منذ اليوم الذي نفيت فيه الى إيلغ مفتتح 1356 هـ، فارسلت عيني الى الامكنة التي فيها طلبتي، وفي خزائنها رغبتي، وبين صدور رجالها امنيتي، فرأيتها شتى، منها ما تكون حاجتي فيه على طرف الثمام[2]، ومنها ما اراه ابعد من العيوق[3]. فاخترت ان افتتح بالجهة التي كانت سبلها معبدة امامي قبل اليوم بكثرة الاخوان والاصحاب. فعزمت على ان ازور تيزنيت فأكادير فتارودانت، وما الى هذه المدن الثلاث التي هي حواضر سوس اليوم، وكان يجب على ان لا اتقيد باسابيع معدودة لتتسع الفسحة امام مباحثي. غير انني وقد حلبت الدهر اشطره[4] رأيت ان الاولى التؤدة والجني من الاغصان التي يمكن هصرها بسهولة وأدنى لمس، ولذلك وضعت برنامج سفري ـ اتباعا للاخ الذي سأسافر في

---

1) ـ ماء آجن وآسن : متغير. (2) الثمام بالضم نبتة صغيرة وذلك كناية عن قرب تناول الشيء. (3) ـ العيوق بفتح العين وتشديد الياء مضمومة : نجم في السماء.
4) ـ الشطر : حلمة الضرع، ومعنى المثل انني جربت الامور.

رفقته وارجع في صحبته في بحر شهر فقط . فكان شهر ربيع الثاني عام 1361هـ هو عين ذلك الشهر ، سافرنا في مفتتحه ، ورجعنا في مختتمه . وهاذا الان وقد استرحت في هذين اليومين اراجع ما كتبت في مذكراتي اليومية . فاذا ذلك خير كثير، منه ما هو معد لكتابي الكبير «المعسول» ومنه ما لعله لا يدخل تحت شرطنا فيه ، فاردت ان اودع هذه الرحلة ما اراه نافعا من ذلك ، مما يلفت أنظار المطالعين في الرحلات كما كان قبل ذلك المسافرين امثالي ممن يركبون متون الرحلات ، فكم شيء يكون عند قوم من سقط المتاع يكون طرفة مستملحة عند آخرين ، ولكل قوم عادات تختلف باختلاف البلدان. فقطر سوس واسع فسيح، في كل ناحية من نواحيه ما يستحق من العادات والاخلاق. وكبار الرجال وافاضل الكرام ان يمر به الباحث الا وقد اعاره من عنايته طرفاً، هذا على اننا لا نعني كثيراً الا بالجهة العلمية التاريخية التي نطنا بها همتنا منذ ان كتبت علينا الاقدار ان نميط بهذا النفي عنا الاعتناء بدراسة فنون الحديث والتفسير والاصول والبيان والادب العام، والمقصود منا - معشر الطلبة - ان لا تثنى الهمم عن بحث يفيد، وتقييد شاردة من شوارد المعارف كيفما كانت ، وان لا نزال منتظمين في سلك طلبة العلم من المهد الى اللحد .

ثم انني انوي ان اطلق الاسهاب ، وان اعانق الايجاز ما استطعت وان لا اذكر الا ما ارى له فائدة ، اما علمية مطلقة واما ادبية خاصة . زيادة على اعلان شكر كل من اسدى الي معروفاً ، لاننا مأمورون ان نكافيء كل من احسن الينا . فاذا لم يكن لمثلي في الكافأة الا بنات اليراع ، فليؤد عني هذا الواجب الاكبر اليراع السيال ، فلا خير فيمن لا يشكر المسدين ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله

افادتكم النعماء مني ثلاثة ✲ يدي ولساني والضمير المحجبا

السبت 1 ربيع الثاني

غادرنا الدار نحو العاشرة صباحاً ، وقد توجهت معي ام مثواي والولدان عبد الله وسعيد وخادمنا ، لزيارة اخوالهم في قبيلة أيت برايم (ابراهيم) ، وقد اخترت ان نتوجه جميعاً للفسحة ، لاننا كنا منذ خمس سلوات فيما نحن فيه ، وكل من كان معك في مضرة ، يجب ان يشاركك في المسرة . والكرام اذا ايسروا يلتفتون الى من كان معهم في المنزل الخشن[1] .

انطلقت بنا سيارة الاخ - وهو سائقها بنفسه - فقلت في نفسي بسم الله مجراها ومرساها . ثم ارسلت فكري - وسعيد يلعب في حجري - في حالة العالم اليوم، وقد غاضت الحرب الضروس المنتشرة في جوانب الكرة الارضية كل منابع السياحات ، واستبدت بالبترول والمطاط ، حتى لا يكاد المدنيون يجدون من ذلك شيئاً ، وقد كان للاخ نظرة بعيدة منذ ان اكفهر وجه العالم السياسي مفتتح عام 1358 هـ، فحاز ما حاز من البترول، ولكن لضيق نظرة الانسان في استشفاف ما وراء سجوف الغيب، وان كانت له المعية وحاول ان يحتاط لم يحرص على ان يزيد من ذلك لمثل هذه الفترة الشديدة، حتى انه بعدما كان تنظيم تفرقة البترول على ذوي السيارات بعد اعلان الحرب لم يتمكن. لجهله بالطرق المتبعة في امثال هذه الظروف، من ان يحوز كل ما خوله له القانون، ثم لم يستبن الرشد الاضحى الغد[2]، حين لا يغني الندم ، فها هو ذا اليوم مدخره يشرف على النفاد ، وربما لا يملأ العشرة اشهر القادمة ، ثم ان لم يأت فرج عام فهو عازم على الرجوع الى ركوب البغال ، اختياراً لحفظ سيارته الاميريكية الجميلة من امتهانها (بالكازوجين) اختار ذلك بعد ما قلب الامر ظهرا لبطن ، حتى عزم اخيرا على ما ذكر ، نازلا على حكم الضرورة ، ولولا الضرورة ما استبدل احد الجواد بالثور[3] ذي الغبب[4] ، فاللهم

1) - تلميح الى قول الصولي : ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن

2) قال ابن الصمة : امرتهم امري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

3) قال المتنبي: ومن ركب الثور بعد الجوا   د انكر اظلافه والغبب

4) الغبب بحركتين : الجلد المترهل المتدلى تحت عنق الثور .

فرج عن العالم وعجل بالسلم الذى يرضينا ويرضى جميع من نمت اليهم ويمتون الينا . انك سميع ومجيب ، وأنت تعرف يا رب ما نريده لامتنا من الانطلاق في جو الحرية والاستقلال

حول هذه الفكرة استرسلت مع الاخ الى ان وقفت بنا السيارة في مركز (تيبوزك) ببعقيلة فدرت بفكرى مرات حول مجالات المعارك التى تدور الان في هذه الحرب الضروس ، فحينا اكون حول (لينينگراد) وحينا حول (دونيتز) وتخوم القوقاز ، وطورا اجول حول الفيليبين واسترالية . وطوراً حول برمانية وقد انجذب فاجول البحار فانصور الطيارات والغواصات والبوارج وحاملات البترول فانصور اعظم مرحلة رءاها العالم منذ وجد الى الآن . ثم اتذكر اقطار العالم الذين دارت رحى هذه الحرب على كواهلهم فاقيس الحاضر من الحرب بماضيها قبل ثلاث سنوات فتخرج لى هذه النتيجة التى يأبى الملاحدة ان يفهموها وهى ان للعالم مدبرا يعرف ما لا يعرفه (تشامبرلان) و (تشرشيل) و (موسوليني) و (هتلير) و (ستالين) و (روزفيلت) و (طوجو) فهؤلاء ومن اليهم اليوم، مثل كل واحد منهم مثل غريق في بحر خضم شديد . يستمسك بكل ما يراه في الماء . ولو لم يكن الا خيالا ، ثم لا يدرى ما يلده الغد ، وعما قليل يذوب هؤلاء الجبابرة ويبقى المساكين وحدهم في الاستمتاع بالحياة .

لندع العالم وما فيه ما دامت امواجه بعيدة عنا في الجملة ، لا نصطلى بنيرانها الا من بعيد ، ولا يعارك الفرد المدنى مثلى فيها الا تخيلا ، وتحت آمال تكون او لا تكون .

لم اكن من جنانها علم الله واني بحرها اليوم صال

ذهبنا قدما مستبشرين بسفر كنا محرومين منه منذ سنوات (واحب شيء الى النفوس ما منعته) (1) . الا ان الزمان اراد ان ينبهنا من سنتها فاحسسنا ونحن ننزل من جبل (آمود) بالسيارة مائلة ، فوقفها السائق ، فاذا احدى العجلات انفلقت فاشتغل معينه باستبدالها ، وقد كانت الآلة التى

---

1) قال الشاعر: منعت شيئا فأكثرت الولوع به احب شيء الى الانسان ما منعا

ترفع بها السيارة قد انكسرت لنا حين ذهبنا منذ شهرين الى مركز (تافراوت) واذ لم تتأت آلة اخرى فقد سلك المعين مسلكاً بلدياً، فقد نجر ألواحا عند نجار، فصار يستعين بها فيقضي غرضه، والحاجة تفتق الحيلة، ثم لم نمش كثيراً حتى تفتقت تلك العجلة نفسها ايضا، فوضع موضعها عجلة ختمت كل المدخر عند الاخ من العجلات، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام، وذلك حين كدنا نخرج من شعب سيدي الغيات، والهاجرة التي تذيب دماغ الضب - كما يقولون - تفرغ علينا صكة عمي (1)، والسغب يلوي الامعاء لي الخرقاء (2) بالخيط الذي تعقده. فكنت اتمنى جفنة ابن جدعان لاستظل بها، وبعد لأي طارت بنا سيارتنا صوب تيزنيت، فمررنا فى (أكال ملولن) بدار الفقيه ابي زيد العوفى الذي سمعنا منذ ايام انه ملازم للفراش لكبره، ولمرض عضال ألم به. فكنت أتمنى لو كنت حراً ان ازوره، ولكني فى قافلة الى غيري مقودها، وحول الثانية عشرة دخلنا (تيزنيت) فقصدنا دار الفقيه سيدي الحسن العفياني الذي كان في انتظارنا بالغداء. فوجدنا منزلا رحبا، وصدراً منشرحا، ومائدة فائضةبما تشتهي الانفس وتلذ الاعين، وما ظنك بطعام تنوول بعد السغب الشديد، ورب المثوى الفاضل يملأ جو الثوي بحديثه العذب. (3)

بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

فلما قضينا الغرض، وأدينا فريضة الظهر، خرجت مع الاخ فزرنا محكمة القاضي الفاضل الكريم سيدي محمد أعمو، فتلاقينا بشوق كبير، فبردت غلة كانت منذ سنوات تتلظى بين الجوانح، وما كانت تزداد بتبليغ السلام من بعيد الا التهاباً. ثم اوقف القاضي اعماله حينا، فدارت المحادثات ؛ فأرانا ظهيرا ورد من الحكومة لتعيين الفقيه العفياني المذكور لالقاء درسين احدهما صباحا يكون

---

1) في الحديث: كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي والصكة الضربة، وعمي تصغير اعمى، والمقصود بالعبارة وقت اشتداد الهاجرة.

2) الخرقاء المراة التي لا تحسن عملا.

3) الثوي كغني: بيت الاضياف في الدار.

ابتدائيا لتلاميذ الكتاتيب في العربية، والاخر في الرسالة بين العشائين يكون عاما لهم ولكل من شهده، وهذا امر كانت الجرائد نشرته قبل اليوم، قائلة ان ذلك يكون كأساس لنشر التعليم العربي في جميع المدن، فتذكرت مثل هذه الخطوة الاولى في مصر ايام الشيخ محمد عبده على يد عبد العزيز جاويش في امارة عباس الخديوي الوطني الشهير، فقلت في نفسي عسى ان تاتي هذه الخطوة المغربية بمثل ما اتت به تلك الخطوة المصرية، فاننا نرى مصر اليوم تتموج بالعلوم العربية في كل جهة بادية وحاضرة والمترقب ان تنكشف هذه الغمة عن سلم طويل، وعن تمام امل الامة، لتثمر كل الآمال، وهل تثمر الا بالحرية والاستقلال؟ وهل توتي أكلها الا متى نهضنا بالعلوم؟ واذ ذاك نرى كل الكتاتيب القرآنية في البادية والحاضرة منظمة كما ينبغي، معتنى فيها بمبادىء العلوم، حتى تكون كلها مدارس ابتدائية محافظا فيها على الاخلاق الدينية والعادات القومية. زيادة على المحافظة على القرآن، كما نرجو ايضا ان نرى رجوع الحياة الى مدارس العلم البدوية كالمدارس القديمة المنبثة في ارجاء سوس، حتى توافق العصر في تدريسها ونظمها، فان الشعب المغربي لا ينهض عمليا دينيا ودنيويا إلا بتنظيم كل الكتاتيب والمدارس التي تغمره من ادناه الى اقصاه. فكل قديم نافع وحديث لا بد منه. هذا هو الرجاء الذي يبعثه فينا عمل الحكومة اليوم، واول الغيث قطر ثم ينسكب (1).

جلت جولة قصيرة في سوق تزنيت، فابتهجت النفس برؤيتها ثانيا بعد ما كادت تنسى المدنية منذ ان انضوت الى «إيلغ»، الا ان الحركة في السوق متوقفة، الا ما يروج في السوق السوداء - زعموا - ، فانه كثير لا تعوز فيها حاجة ما دام الثمن الباهظ ناضا. ثم لاقينا بكل اشتياق الاستاذ العلامة سيدي احمد بن احمد الناظر - اخا القاضي.

فلم يزد عناق التلاق، الا اضطرام الاشتياق ويزداد بالقرب اشتياقا الى القرب (2)

---

1) شطر بيت، وقبله: وابلق الفجر يبدو قبل ابيضه.

2) شطر ثاني بيتين اوله: واعجب منه قربه لحبيبه واولهما :

يزيد ظمأه كلما ازداد شربه من الحب فاعجب منه ظمآن في شرب

فذهبت معه الى دار الفقيه العفياني. فودعت الاهل لانهم سيبكرون الى اهليهم في آيت برايبم، فاستقررنا في دار القاضي مستريحين وقد غادرنا الاخ الى منتجع سرحه في ضواحي (تيزنيت) فلم نره الا في الغد، هكذا اختتم هذا النهار الذي هو اول يوم في سفرنا المبارك.

الاحد 2 ربيع الثاني

زرت مسجد ايت محمد ـ فتحا ـ فاذا به مع كونه من الطراز القديم من احسن المساجد، فيه مصلى واسع، ومكتب حسن، وسقيفتان فسيحتان. احداهما للطلبة، والاخرى للعامة. ياوون اليهما في محادثاتهم طرفي النهار، وعند انتظار الصلوات، وفيه ايضا متوضأ حسن أفيح، وقد زرت بعد هذا النهار مسجد إداكفا وهو نظير المتقدم، وفيه مدرس من أعظم المعلمين لكتاب الله، اسمه سيدي عمر، عليه مسحة من الصلاح، ذو شيبة واطراق، وعنده تلاميذ كثيرون، ابطأ هناك فخرج عشرات وعشرات، حتى لقد سمعت انه تخرج به في حفظ كلام الله زهاء مائتين، وقد تغدينا معه مرة، فرأيته ساكن الطائر، منقبضا، سالم الطوية، وهو اليوم يجتاز الستين، وقد زرنا مكتب نظارة الاحباس، فكان على صغره حسن الهندام في الجملة مرتبا منظما، وهذا الناظر الجديد سيدي احمد ابن احمد أعمو هو ثالث النظار هناك، فقد كان قبله سيدي الحسن بن احمد من آل الحسن بن الطيفور، العلامة الساموكني المشهور، ثم الاديب سيدي محمد بناني الفاسي، نيابة عن مولاي محمد البلغيثي السلوي ناظر تارودانت، ثم صاحبنا هذا، والمال الذي يروج هنا لا يزال دون المظنون منه، لضعف هذه البلاد وقلة ماليتها. وضؤولة احباسها، ولا احسب ذلك الا سيزداد مع الايام، وقد كانت نظارة الاحباس الكبرى كتبت الى هذا الناظر ان يجمع كل احباس جبال جزولة مما الى تيزنيت تحت نظره، ولكن المراقبة في تيزنيت لم تأذن له بعد.

مما استفدته هذا النهار، بعض ما يتعلق بالفقير محمد واعزيز الشهير. وانه من اصحاب عبد الرحمان دفين إيكرار بآكلو، كما ذكر لي احد الايكراريين،

وقد لاقيت حفيده وهو سيدي احمد بن مبارك بن علي بن الفقير محمد وعزيز فأفادني ان نسبه هو هكذا محمدبن احمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن عثمان بن حمد هكذا بغير الهمز وهكذا نقلته من خط الفقيه سيدي الحسن الآتي. وقال احمد بن مبارك ان نسبهم اتصل بمن يانون: احمد بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مسعود بن محمد بن محمد بن الحسن بن احمد بن سالم بن احمد بن ابراهيم بن عبد الحليم بن عبد الكريم ابن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن احمد بن جعفر بن عبد الجباربن احمد ابن ادريس بن ادريس الى آخر النسب المشهور، وفي المنقول منه ان احمد بن محمد بن ابراهيم المذكور اخذ عن داوود الدادسي وان محمد بن سعيد العباسي اخذ عن احمد هذا، اقول لعل احمد هذا هو ابو عثمان الذي كتب بلفظة حمد والله اعلم. أما وفاة الفقير محمد واعزيز (وهو محرف عبد العزيز الذي كان جده) ففي الاربعاء الاخير من رمضان 1248 هـ وله أحاديث واخبار متداولة. رأيت بعضها مقيداً في طرف كتاب عند اهله، وكراماته واشتغاله بما يعنيه مستفيضة، وأصله انتقل من تيمكيدشت كما صرح به ابن العربي الادوزي، وتوفي حفيده مبارك بن علي بن محمد 11 رمضان 1351 هـ، وتوفي الفقيه محمد بن محمد بن الفقير محمد وعزيز الخميس 18 ربيع الاول 1349 هـ عن سن تناهز المائة، وقد اخذ من تيمكيدشت عن الشيخ سيدي الحسن بن احمد وشارط في مدرسة سيدي همو بن الحسن بالاخصاص ودرس فيها الفنون ما شاء الله، وتوفي اخوه سيدي الحسن بن محمد بن الفقير واعزيز في الخميس 13 ذي القعدة 1349 هـ وقد تخرج بابن العربي الادوزي، وكان الاخوان فقيهين مذكورين متصوفين مائلين الى الانقباض يتقدمان الناصريين الى تيمكيدشت دائما. هذا وضريح الفقير محمد واعزيز من مزارات التزنتيين مبني عليه، واخباره كثيرة، وله في الروحانيات أخبار تدل على شفوف رحمه الله واعاد علينا من بركاته، ولعلنا نرجع الى ذكر هذه الاسرة في ترجمة الشيخ سيدي ابراهيم البصير، لان آباءه أخذوا عن افرادها، فلنترقب ذلك في (المعسول) ان شاء الله في (القسم الرابع) فاذ ذاك نشبع الكلام عليهم كما ينبغي ان تيسرت لنا اخبارهم كما نريد ثم

صادفت هناك بين عدول ماسة سيدي عبد الرحمان الادوزي الاصل، فأملى علي ما تيسر من أخبار أهله مما حضر عنده وواعد ان يوافيني بغير ذلك من آثارهم ولعله يفي فأسوي الجميع في تراجمهم من كتابنا المذكور ان شاء الله، ولكن قبل ان اسأله عن كل ما اريد فاجأ من حال بيننا، ثم انى تلوت ترجمة الاستاذ المحفوظ الادوزي على تلميذه الخاص سيدي احمد الناظر، فأفادني بعض ما لم أعرفه، هذا وقد كنت ألقيت على سيدي ابراهيم بن القاضي آية (أكاد أخفيها) عشية أمس. فجاءني اليوم بما يشفي الغليل فيها، وهو نجيب لبق ممن آلوا بعد ما اصيبوا بما اصيب به ابن عباس :

ان يذهب الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور

وقد قال ان هناك من قال اخفيها أزيل خفاءها، والهمزة همزة السلب، كما تقول أعجمت الكتاب أي أزلت عجمته. ومن قال أخفيها أظهرها، وقد قريء أخفيها بفتح الهمزة ايضا، ويقال خفاه وأخفاه بمعنى اظهره، الى غير ذلك مما ذكره المفسرون .

الاثنين 3 ربيع الثاني

بكرت لزيارة والد قرينتي الشريف سيدي ابراهيم بن محمد في (الارجام) في قبيلة أيت براييم لسماعي بإصابته بورم شديد فى احدى ركبتيه. ومايقاسيه من الثمانين - وبلغتها - أشد فعزمت على الابتداء بزيارته بعد ما عزمت على تأخيرها. فاستويت على بغلة القاضي المسرجة، وقد قال إنني أنعلتها لك بمجرد ما عرفت انك آت، فوجدت راحة عليها فتملصت من الاكف التى تدمي مقاعد أمثالي الذين لا يألفون الركوب، فمررنا بإيغبولا، فشاهدت دار آل إيليغ، وأراني رفيقى أخو زوجتي سيدي محمد بن ابراهيم الشريف الضياع التى لهم والتى لغيرهم، وقد سمعت ان هذه الارض هي الباقية وحدها من أملاك بودميعة العظيمة تحت يد أحفاده اليوم، ثم وصلنا فوجدنا ترحيبا من الشريفات المحجوبات قبل الشرفاء الذين تلقونا خارج القرية، فأمضينا هنالك النهار مع الفقيه الشيخ

الصالح استاذنا سيدي احمد بن مسعود. المعدري. والد الاديب البونعماني فقد جاء مع طلبته فباتوا معنا فرحا وابتهاجا، فجالست كثيراً الشاب النبه البشير ابن ذلك السيد، فانني كنت اسمع به كثيراً فاذا به قد صدق الخبر (1)، ففاوضته في خزائنهم مما احتاج اليه من المقيدات. فذهب الى مدرسة بونعمان فأتاني بما تيسر، فاشتغل بنسخه وهو ذو همة فيما كلف به.

الثلاثاء 4 ربيع الثاني

أصبحت مع هؤلاء السادة الكرام، والشيخ سيدي احمد منعزل عنا كماهي عادته لضعف بنيته جداً، حتى لا يقدر ان يجالس كثيراً. ولكونه يمضي اوقاته في تلاوة القرآن وفي قراءة دلائل الخيرات، وقد جمعهما بحمالة واحدة يحملها صاحبه . ولا شغل له الا ذلك مغتنما ما بقي من عمره، ثم اجتمع حولي تلاميذه النجباء، فوضعت في يدي كتاباً من كتب الزاوية في دار صهري، فوجدت باباً في فضل العلم فأمرت سيدي البشير ان يتلوا علينا منه. فيمضي لسانه الذلق الفصيح بلا تهدج ولا تلعثم، وهل يكون صنو الشاعر البونعماني الا كذلك، فكنت أنا والفقيه سيدي احمد الناظم الساحلي معين الاستاذ ابن مسعود له بالمرصاد، لا نذره يعسف لو كان من العاسفين، وهذا المعين من نجباء الطلبة مستحضر في النحو والفقه. وكل الفنون التي يدرسها البونعمانيون وهو من المتخرجين بابن مسعود المذكور. والمرحوم سيدي احمد بن محمد بن مسعود هو الذي لقبه بالناظم لانه يراه مولعاً بقرض الشعر، وقد كنت حرصت على ان اتوصل بشيء مما قاله فلم يتيسر ذلك، وهو الان ابن زهاء اربعين سنة، وقد حضر الطعام بعد متوع النهار فحلق الطلبة يأكلون، فداعبتهم قائلا : احاجيكم ما تقوله العرب لما يوكل صباحا قبل الغذاء، ثم قلت لهم ان العرب تقول له

1) قال المتنبي:

واستكبر الاخبار قبل لقائكم	فلما التقينا صدق الخبر الخبر

وفي معناه قول متنبي المغرب ابن هاني :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا	عن جعفر بن فلاح احسن الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت	اذني باحسن مما قد راى بصري

اللهنة. ومنه قول بعضهم لهنوا ضيفكم. ثم ودعنا الاستاذ وتلاميذه. لانهم بصدد جمع الادام السنوي لمدرستهم على العادة، وهم فى تلك الحالة يتتبعون دروسهم فى القرى. والناس يلاقونهم بكل إكبار. وبعد صلاة الظهر خرجنا من (الارجام) وقد جررنا معنا البشير النابغة. قاصدين الى (العوينة) لصلة رحم لنا هناك. فمضى الطريق كله أدبا بانشادات لطيفة. وبفوائد مختلفة مليحة. نتقاذفها كما تترامى الحسان بطاقات الازهار، فنزلنا أمام ضريح سيدى عبد الله ابن محمد العويني الادوزي الاصل، فاذا بحفيذه سيدي عبد الله الفقيه تلاقانا. ولم تكن لي به معرفة قبل ذلك الحين. بكل بشر يقطر به وجهه. فلم أكد أراه حتى احسست بأنني لاقيت احد من يتفتح لهم قلبي الذي لا يتفتح لكل احد، وكان من أغرب المصادفات اننا وجدنا أعوان الحكومة كما جاءوا. فاستداروا بالقرية. معلنين ان لا خروج ولا دخول لاحد، لظهور بوادر مرض معد من بعض السكان. مات منه بعضهم، فكانت دار رب مثوانا خارجة عن القرية، فأباح الحراس لاهلها عدم الانحجار مع أهل القرية فكان ذلك من لطف الله بنا، والا فنحرم من صلة الرحم. وهذا التحجير الصحي في الاوبئة المعدية. مما ظهرت للعقول منفعته، ودلت عليه الاحاديث الصحيحة، فقد أمرنا ان لا ندخل بلدا فيه الوباء، وان لا نخرج منه، وقضية عمر حين قدم الشام معروفة. ولا أكاد افهم ما في (الاستقصا) في ترجمة احمد الذهبي من دفع هذا التحجير. وفوق كل ذي علم عليم.

الاربعاء 5 ربيع الثاني

بتنا ليلة نعدها في طليعة الليالي الغر التي تقل في سفرنا هذا لقلة المجالسين الموافقين فى حلبة الادب. ولاريحية رب المثوى مع اخيه الفقيه سيدي ابراهيم وهما فى سماء المعالي والمكارم القمران النيران. أو البحران المتساجلان، فما شئت من أدب ومفاكهة، وفوائد وأنباء. يثر بها لسان الفقيه سيدي عبد الله. يحكي عن رحلته العلمية. وعن صحبته للشيخ النعمة بن ماء العينين، وعنده دفتر كبير فيه كثيرمن أراجيزه، ومن بينها قطع تداولها الشيخ النعمة، والشاعر

الافراني. والاستاذ أبو الحسن الالغي، وذلك حين كانوا آئبين من سفرة من (كردوس) حيث الاميراحمد الهيبة ، فقال الشيخ النعمة وقد ألح عليهم فى السير:

ألا فاعذروني فى المسير فإننا — لا رواح روح الوصل شوقا تنسمنا
ولا لوم فى شرع الصبابة عندنا — علينا اذا من روح وصل تروحنا
جعلناه قربا اذهب البعد بيننا — وعنا به شرط التحفظ اسقطنا
وءادابكم فضلا تمهد عذرنا — وعلياؤكم ترقيكم ما تسنمنا

فقال الشاعر الافراني :

عذرناك مولانا فسر حيث يممنا — وساعدك الاقبال من هند أو لبنى
ولا برحت يمناك تجني مناك ما — تضاعف حر الشوق ان قرب المغنى
وأي ملام فى انبعاث هواجس الـــمعنى اذا ما شام برق الحمى حنا
وطار به شوق اللقا وتسرعت — ركائبه كأنها تفهم المعنى
فما عنف المشتاق الا أخو الجفا — عريض القفا لم تصبه المقلة الوسنى
فدم واصلا خود الصبا بخرائد الـــعلا ما زجا خمر المنى باللمى الاهنا
فإنك نعم الغيث والغوث ان دجا — ملم وسح المزن منا . وما منا
عليك سلام من فؤاد طما به — هواك الى ان صار مملوكك القنا

وقال أبو الحسن الاستاذ الالغي :

ألا قل لمن بجاهه قد تترسنا — ومن وجهه كل الكمال توسمنا
ومن لهم غوث الورى فبجوده — واقدامه من كل هم تنفسنا
ومن لم نزل نستنشق الطيب ساطعا — براحته السحاء اما تصافحنا
ومن رشحته للسيادة والتقى — يد عن مدى إحسانها قد تقاصرنا
لك العذر ان أوضعت غير مضيع — حقوقا قضاها عز همتكم شأننا
عليكم سلام الله ياخير منشيء — لارواح روح الوصل شوقا تنسمنا

واذكر اننا لما كنا ننشد البيت الثالث للاستاذ الالغي، وجدنا في الاصل براحته السمحاء فقلت لفظة السمحاء لا تقال، وانما يقال السمحة من سمح كسهل فهي سهلة، ولذلك لا يقال الحنيفية السمحاء ، فقال النابغة البشير لا أرى الكلمة

الا مصحفة من السحاء فقلت له لله درك ، فهكذا يقول الاستاذ الالغي اللغوي المتثبت ، ولا يقول خلافه . فأصلحنا الكلمة ، ثم لما حررنا تراجم الادوزيين العوينيين آل أرباب مثوانا ، لالحق ما لا يزال ينقصني عنهم في (المعسول) عزمت على التبكير فأسلس سيدي عبد الله المضيف قياده ، ولكن ما كدنا نصلي الصبح حتى والى ما والى من أطعمة اليد واليدين ، فما ترك حنيذا فما دونه الا عرضه على السماط ، وهو يقول : ان قعيدة الدار بنت خالتك هي التي باتت تهيء كل هذا طوال الليل ، فتذكرت وانا أمر على تلك الاطعمة ما قاله ابن الخطيب في مضيفه يعقوب بن أبي حدو في طريقه الى مراكش :

نزلنا على يعقوب نجل ابي حدو ... فعرفنا الفضل الذي ما له حد
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى ... فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ... ويلقاه منا البشر والشكر والحمد

ولم أكد أنشد هذه الابيات في نفسي حتى حملت اليراع فكتبت هذه الابيات المهلهلة بسرعة ، والمتاع يحمل على البغال ، لنخلد فيها للعوينة ذكرا بين القوافي :

ان مرءا قد زار ارض العوينة ... ورأى أهلها، رأى الفضل عينه
لم أكن قط عارفا قبل كنه الجـ ... ـود حتى رأيت أهل العوينة
فرأيت الندى المجسم حتى ... ليرى طرفهم قرى الضيف دينه (1)
وسرورا عند التلقي وبشرا ... مستفيضا يقر للضيف عينه

ثم زمت الركاب، وركب متن الطريق فاغذذنا(2) الى (تيزنيت) فدخلناها في نحو التاسعة ، ثم اخذنا تذكرة السفر الى اكادير ، فصاحبت الفقيه الناظر

---

1) الطرف بالفتح : الكريم ، كما يطلق ايضا على العين ، قال اليوسي كاتبا به الى اضيافه :

كلوا واعذروني في التخلف إنني ... رايت اتباع الطرف ليس من الظرف
فاحسن ظرفي ترك ضيفي كما يشا ... فليس اتباع الطرف من شيم الطرف

2) الاغذاذ : الاسراع

الى داره . فدخل علينا سيدي احمد بن أبي زيد العوفي الشاب المهذب الاريحي وهو كما تخرج منذ سنتين من جامع ابن يوسف ، فتولى خطة العدالة بعد ان ادى الامتحان في وزارة العدلية ، وعليه رونق الحضر وادبه وحصافته ، فتناول معنا الغذاء في نصف النهار هناك ، ثم جرنا الاخ الكريم حاتم المعدر سيدي الناجم الى بعض معاريفه فافاض علينا ، وقد حضر معنا هناك الشيخ ابراهيم الابلاغي ، وقد سلم علي سلاما يقل نظيره في الجبليين ، فأحفى في السؤال ، وذلك لما بين أسلافه وأسلافنا من قديم المعرفة والاخاء المتين ، وفي الثانية عشرة خرجت السيارة صوب أگادير تخترق فسيح أزاغار ، وهي وإن كانت تسير بالگازوجين ذات جري كثير ، وفيها أبصر مبصر ازائي اثر قرحة في عنقي ، يكاد يبرأ فسألني من أي نوع القرحة ، فقلت انها حفظك الله من المعضلات الشديدة التي يقابلها المستطبون عندنا بالكى الشديد ، غير ان الله رؤوف بي . فقيض لي انسانا من اداوزكري (هو سيدي احمد بن الطيب من أصحاب والدي) فلم يكد يراها يوم انبثقت حتى عرفها ، باسوداد رأسها وبكونها منعدمة المخرج ، فقال عليك في الحين بالبارود والثوم وحب الرشاد والملح والفلفل الاهلي وشيء قليل جدا من اثمد الحج ، فدق الجميع وأخلطه بالزيت واربطه عليها ، ثم تحفظ من كل ما فيه رائحة طيب . او تناول الخبز المخمر ، وتجنب الجزر ، فتجنبت كل شيء الا اللحم بالبصل ، والادام بلا كمون ولا افاويه الابازير ، كما تجنبت ملاقاة الناس لئلا يكون فيهم طيب او سهوكة الدرن ، فانها ايضا تضر بالقرحة ، بل تجنبت حتى المزابل ونحوها ، فهكذا اسرع الي الشفاء ، فإنني احتجبت 15 يوما عن كل زائر ، وعن الرياح وعن الشمس ، فكل ذلك مما يضر بها ، فلم أحس بأدنى ضرر في جسدي بسبب هذا التحفظ ، ثم لما مضت أيام ، ونحن نستبدل تلك الادوية على القرحة كل يوم تفجرت ولفظت ما فيها ، فتناولنا ثانيا حب الرشاد والبصل والتمر الجيد ، فدققناها ناعما - فمزجناها بالزيت فوق النار اللطيفة ، فصرنا نربطها عليها حتى لا ورم فيها ، فعمدنا الى ما يسمى أسركنا . وهو مما يدبغ به عندنا ، وهو

نبات كالاشنان ، فدققناه فنذره عليها ، حتى اكتست الجلد كما ترى ، وهذا كله بإشارة ذلك السيد الزكري قائلا انه من الادوية التي يحرص الشيخ ابو العباس الجشتيمي على ان تنتشر بين الناس ، فعملت انا جهدي لنشرها بينهم، وهذا ما قاله جزاه الله خيرا . فبادر صاحبي الى كتابة هذا الدواء ، كما كان القاضي أعموا قبل ذلك اعتنى بكتابته ، وقصدي بكتابة مثل هذا ، افادة القاري كيف التطبب عندنا في مثل هذا .

وصلنا اكادير نحو الثانية والنصف فصعدنا الى (تالبرجت) فصادفنا هناك ابن اختي الشاب الذكي سيدي محمد بن سعيد التناني، وقد نزل عند شقيقته التي تزوج بها حديثا حوالي عيد الفطر 1360 هـ السيد احمد بن بلعيد من إيداوتانان ثم وجدت الاخ سيدي عبد الله الساكن الان في أزيار بإيداوتانان كما ركب الى (تمانار) ، فاستقدمناه بالهاتف فتعشى معنا ، فاجتمعت به وبابن سعيد وكلاهما ممن كنت اشتاق الى لقياه من زمن ، وابن سعيد لا يزال يتلقى في المسجد اليوسفي ويرجى له سمو وتفوق ، خصوصا في الادبيات ، (وقد توفي هذا الشاب وشيكا رحمه الله ودفن في الصويرة) .

كذلك قضينا هذا النهار ، فمن مكارم (العوينة) الى ابتهاج (تيزنيت) الى السرور بمرائي بسائط هشتوكة ، الى الحبور بمناغاة امواج البحر المنبسط تحت اقدام (تالبرجت) التي هي بلا ريب احدى المدن المغربية القليلة النظير، وان كانت حديثة .

الخميس 6 ربيع الثاني

اصبحت مع الاخ سيدي عبد الله الصوفي المكين نرتاد ساحل البحر بعدما لهتنا مضيفنا الكريم ، فأفضى إلي وأفضيت اليه بأخبار العائلتين ، ثم أبنا للغذاء فأطلقنا للواحي عنانه ، يشنف اسماعنا باخبار العالم ، كما كنا نصنع منذ عشي الامس فصرنا نستمتع من جديد بألوان من المدنية كنا حرمناها منذ سنوات غير مبكي عليها من انفسنا، لاننا وان كنا نتذوقها، الا ان المتعة التامة انما

يجدها مثلي في المتع العلمية وبمحادثة الاخوان ، والا فهذا الواحي والكهربا في هذه الغرفة التي انزلنا فيها مضيفنا الكريم ، هل يقدران ان يصلا بأنفسنا إلى ما تصله لذة المعارف ومحادثة الاصدقاء ، وفي العشي نزلنا الى (انزكان) فوجدنا الاخ الحبيب واصحابنا هنالك في الانتظار . فنزلنا في قرية (الدشايرة) في دار ، فلا تسال عما تدفق علينا من الموائد الطافحة ، وقد التقيت مع الفقيه مولاي عبد المالك التناني ، واستفدت منه اليوم وفي يوم الرجوع ما سنكتبه ذلك اليوم فانتظر .

الخميس 7 ربيع الثاني

كان احباب من (فونتي) واعدونا على ان نرجع اليهم ، فوفينا فأقلتنا السيارة الحافلة اليهم ، وهي تأتي وتذهب دائما في كل ساعة او ساعتين طوال النهار بين (تالبرجت) و (إنزكان) فوجدناهم مترقبين ، فأمضينا ليلة من ليالي احياء القلوب .

السبت 8 ربيع الثاني

بكرنا بكور الغراب نجوب بنا السيارة الطريق الى (تارودانت) فنمر بأراضي المعمرين . من بينها ضيعة لشركة الساتيام غرست فيها الموز ، ثم احاطت الضيعة من جوانبها الفيحاء على اتساعها بسياج من شبكة رقيقة من الاسلاك الرقيقة المنسوجة ، تحجب مثل النحل والبعوض . ولا تحجب الشمس ، كما جعلتها افقيا فاكتست الضيعة كلها جوانب وسماء بتلك الشباك التي تبدو رأي العين كأنها نسج العنكبوت ، ومن بينها تبدو (المضخات) الات رفع الماء - وسوى هذه اراض اخرى كلها لهذه الشركة ، وقد باعتها هذه السنة لتاجر اهلي هو السيد المعروف بالدمناتي من تارودانت ، وهو مشارك لاجنبي كما سمعت ، وهو من اثرياء تلك المدينة ، كما اشترى ايضا دار ابن حيدة بن مايس المسماة هناك دار البارود ، وقد سمعت ان ذلك كله بأحد عشر مليونا من الفرنكات ، مع ان الاراضي فيها آلاف مؤلفة من الامتار ، كانت تلك

الشركة اشترتها بثمن بخس من الاهالي، وقد كاد المعمرون يستحوذون على أراضي هوارة الجنوبية ، وغالب ذلك بسبب القائد بوشعيب الاقطاعي الذي اخلص للاستعمار . وقد قال لي مطلع : لم يبق الان من الارض الجيدة في ايدي الاهالي الا قليل . وان كان المعمرون لم يستخدموا من تلك الاراضي الا قليلا، ثم بعد ان قطعنا غابات أركان ولجنا في غابات الزيتون ، فهذه الاراضي فى الحقيقة اراض مخصبة الى الغاية ، وقد قال المطلعون ان الاراضى الممتدة من (اولوز) برأس الوادي الى (انزكان) الى (اكلو) الى اولاد جرار فوجان فهشتوكة الى ان تمر شمالي الاطلس الصغير (كما يسمى به في الجغرافية الحديثة جبل جزولة الممتد جنوبي هذه الاراضي) فيها 500.000 هكتار يصلح فيها للتعمير خمسها فقط ، اي 100.000 هكتار ، ولكن ايجاد المياه الكافية للجميع دونها اشغال عظيمة في سدود وحفر الجداول والسواقي الكبرى الى آخر ما ذكره ارباب هذا الشان ، ولا عيب في هذه الاراضي الا انها تحتاج ابان السقي الى الماء الكثير . فأين هذه الاراضي من اراضي دكالة وعبدة حيث الاراضي البورية التي لا تحتاج الى السقي، بل يكفيها المحراث والفاس، ثم تؤتي أكلها من غير معالجة السقي والتسميد في كل وقت ، وهذه الاراضي السوسية من اخصب الاراضي المغلة . فان غللها تبكر قبل غلل الشمال بكثير .

— وصلنا المدينة نحو التاسعة ، فنزلنا في دار ابي المواريث سيدي العربي بن محمد التيزنيتي ، ولم نجده هناك لذهابه مع الاخ سيدي محمد الى (تازمورت) قبل ذلك اليوم ، وقد كان الاخ تركنا فى (تزنيت) عجلا للسفر الى الحمراء فما وراءها ليزور ولده عليا فى مكناس، وكنت اظنه سافر اذا بعدم انتظام المواصلات فى هذه الايام قد اخره الى اليوم ، ثم صمدت الى دار الفقيه العلامة القاضى سابقا سيدي موسى بن العربى الرسموكى الاصل الردانى الدار ، فسالت عنها فقدمنا اليها انسان ليدلنا ، وقد لفت نظري فى هذه المدينة ان اهلها يهتبلون بالوارد الذي لا يعرف الطرق فيدلونه ، رايت ذلك منهم مرارا ، فكان هذا من محاسن تارودانت المشكورة ، ومن مآثرها المحمودة ، فدققت الباب ، فاعلمت

الخادم باسمي ، فابتدر القاضي ففتح الباب قائلا : انت هذا يافلان ، وقد سمعت انه كان وكان ، - يعني النفي - فقلت له حقيقة كان وكان . ثم جاء ما نفي كان وكان ، بهاتين العبارتين اللتين تبادلناهما اثر المصافحة كانت التحية ، ثم جلسنا في الثوي ، فتبادلنا الاسئلة عن الاحوال الشخصية فرأيت منه فرحا زائدا وبشرا فائضا ، وقد قلت له ما عندي في تارودانت سوى زيارتك فقط ، ولايزال الفضل لك في التعارف ، وذلك ان اول يوم تعارفنا فيه يوم شرفتنى بالزيارة اذ انا فى الحمراء ، فسره ما رأى من نجابة اصحابنا هناك، ثم مررت بتلك المدينة مرجعى من الغ الى مراكش[1] عام 1354 هـ فلاقيته ثانيا فى دار حاتم تارودانت السيد الحاج مبارك بن على المنانى التيمدوينى استدعاه ليلة احتفاله بنا ، ثم ضرب الدهر ضرباته ، وما فى الافئدة لا يزال مصونا ، وقد قال لى ذكره الله بالخيرات، انه أنشأ اثر مروري بتارودانت حين نفتنى الحكومة مختتم عام 1355هـ هذين البيتين :

هون عليك فان نفيك برهنا	عن كل فضل نلته ولك الهنا
ان كان نفي المرء يوحش صدره	فسواه أضناه البعاد وأوهنا

ثم كان اول ما سألته عنه . وهى اسئلة بسببها حرصت على لقياه ، هل وقف على كتاب رودانى الفه صاحبه عام 1139 هـ وسماه (نزهة الالباب ، فى ذكريات الاحباب) او (نفحات الشباب) كتبه كاقتراح من الفاسيين ليدلي فيه بما عرفه عن الادب السوسى فى عهد محمد العالم بن مولاي اسماعيل قائد تارودانت وكل سوس فى سنوات 1112 هـ فذكر فيه أدباء من مصاقع الادب العربى فى سوس ، غير ان الذي عندنا من الكتاب فيه بتر فى آخره ، فسألت هذا السيد لعله يقف على الكتاب فنستتمه ، فكان الجواب بالنفى ، وقد كنت سمعت بأن نسخة منه ربما توجد فى احدى خزائن علماء الساحل ، اما فى خزانة السملاليين ، واما فى خزانة ابن يدير ، غير انهما نهبتا منذ ازمان على يد ابن

---

1) هذه الرحلة جمعتها في جزء تحت اسم «من الحمراء الى الغ» .

دحان وقد كنت على نية ان أفاتح بالسؤال عن الكتاب بقية العلماء السملاليين الفقيه سيدي الطاهر اذا به توفي قبل هذا السفر بنحو شهر فهكذا خرج السؤال عن الكتاب صفراً في هذه المرة، ولعلنا نقف على طلبتنا في مرة اخرى كما نسأله أيضا عن رحلة حجازية لاحمد الاسغاركيسي المتوفى عام 1136 هـ. فقد انتسخت بعضها الى ان وصل فاسا، فكان الجواب أيضا بالنفي، ولعل الرحلة في خزانة الاسغاركيسيين ان كانت مصونة من حوادث الدهر، ولم أتصل الى الان في سفري هذا بمن يكون لي فاتحة خير الى بيت الاسغاركيسيين الطافح بالعلم والصلاح منذ القرن العاشر.

قيدت عن القاضي ترجمته وقد أخذ عن احمد بن محمد أمزاركو وهو عمدته بعد ما أخذ عن آخرين، ثم دخل تارودانت عام 1314 هـ، فاتجر حينا، ثم التحق بخطة العدالة وبمجلس الشورى، ثم تعين قاضياً في العهد الحفيظي، ولم يزل يتقدم ويتأخر، وهو يطلب بعد ان أسن أن يعفى من تلك الخطة التى عجزعنها، فلم تسعفه الحكومة إلا أخيراً، ومن قريضه ما قاله بعد ان أخر عن القضاء إحدى المرات المتقدمة :

يظن بي الاغمار أني منطو على أسف لما صرفت عن القضا
ولم يعلموا اني كفيت أموراً همهن أحر فى فؤادي من الغضا
فقل لمحب ساءه ذاك أو لمبغض سره ما هكذا النظر اقتضى
فإنى أرى عكس القضية لازما لحاليكما فالوجه ان تعكسا القضا(1)

ثم لما أعيد بعد تلك المرة الى الخطة قال :

ولكن هذا الهم قد عاد ثانياً فيارب فاصرفه كصرفك ما مضى

ثم لما تطاول عليه هذا الهم أزيد من عشرين سنة فى هذه المرة الاخيرة. قال :

وقد دام هذا الهم عشرين حجة وزيد عليها أربع وهو ما انقضى

ثم قال - إننا اليوم نقول فى الشطر الاخير :

---

1) القضا" : هنا بمعنى الحكم . والقضا" الاول بمعنى الخطة . هكذا قال القاضي .

وزيد عليها أربع وقد انقضى

ثم اتبع ذلك الحمد، وقد كسا الاستبشار وجهه من غير ظهور تصنع لذلك قال إنني الان والحمد لله أبيت ملآن العين بالوسن الطيب، وأظل ولاشغل لي إلا مناجاة دفاتري ومناجاة ربي، وأنشد من قطعة أولها :

ليكن قاضياً على أهل سوس من تبحر في علوم المجوس
كل قاض لهم وان جل لازا ل مدى الدهر فى العنا والبوس

وللقاضي هذا ترجمة واسعة توجد في كتابنا « المعسول » وقد تسرب الي ممن يداخلونه من أفضى إلي بما يجيف عليه بابه من خشوع زائد ودمع مسترسل ومناجاة لخالقه جعل لها وقتاً لا يخرمه. وان زلزلت الارض زلزالها. وكان مع إخفائه لحاله هذا عن الناس، ربما يفلت من فلتات لسانه ما يدل على ما وراء الاكمة قوله :

ياجاهلا بأمور علمها رشد وغافلا والمنايا دونه رصد
هذا أوان فطام النفس عن زلل قد طالما أنت فى أمواجها ترد
وان هذا زمان الصلح إن سبقت لك العناية واحتف بك المدد
فانج بنفسك من داء الذقون ولذ ببيت ربك فهو المنهج الجدد
وصل فيه على المختار سيدنا محمد وعلى آل هم السند
واعكف على الفرض فيه والوظيفة والـــورد وأنت خلي القلب مجتهد

وقد مضت لي معه نحو ثلاث ساعات كلها فوائد تنتشر من فيه، ثم تنتظم بيراعي فكأن ذلك أعجبه كثيراً ، فقال: لله درك من حريص على ان لا تفوت سانحة، وبمثل هذا يدرك المعارف المولعون، والاعجب أنك لا تزال كما كنت لم تفتر همتك بالمكث فى الجبال التي لا يعرفون مثل هذه الهمم، فقلت له : ما زدت على أني رأيت الدرر تساقط على رطبة فحرصت على أن لا تضيع، والعلم صيد والكتابة قيده، (2) وأنا حقاً لو كنت فى الجبال على ما هي عادة الجبال في هذا العصر لفترت همتي، ولكننى منزو عن كل أحد، بل تباعدت عزوفاً

(2) العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك قبل ان تتفلتا

عمن لا يقدرون مثل هذا الحرص، ويعدونه من خير الطبيعة، ولا يعلم إلا الله ما طرق أذني من المسفين همما، وممن لا يرون العلم إلا في درهم يوكأ عليه، أو في شهرة تطير في الخافقين، ثم ينامون ملء عيونهم، كأنهم أصبحوا في ذروة علم لا مزيد عليها، ومما قيدته عنه مثل (لمكواك مدواك) أي من لم يكوك ما داواك ، بمعنى ان من يدخل عليك منفعة ، وان كانت شاقة عليك، فإنه لا يريد بك إلا الخير، وفي هذا المعنى قال الشاعر :

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل [1]

وذكر ان عنده مجموعة كثيرة من وفيات أعيان تلك الجهة، قائلا تنتظرك متى اردت ان تؤدي لهذه المدينة حقها، فتمكث فيها مثل ما تستحق [2] ، وقد كنت أعلمته بأنني لا ابقى هنا إلا بقية ذلك اليوم، فجاذبني في ذلك مجاذبة ، فأبديت عذري، فلم انفك منه إلا بعد ان وعدته بالعودة متى تيسر ذلك عن قريب، ووعد الحر دين، ومما أفادنيه ان الباشا حمو توفي فى محرم 1318 هـ وانه دفن فى (سدي أسدي) كما افادني وفيات اخرى الحقتها بتراجم أهلها في كتاب (المعسول) ثم جرى ذكر وفاة سيدي الحاج ياسين الوسخيلى فذكرت انه توفى 1327 هـ فقال بل توفى حوالي 1320 هـ وهو عندي مقيد فقلت إنني نقلت وفاته هكذا توفى ليلة 8 ـ 12 ـ 1327 هـ نقلته عن أحد التمليين وعن احد تلامذته. فقال ان ذلك خطأ قطعا، فقلت له إني أقع على خطإ ممن يعتنون بالوفيات كثيراً ثم اصحح ما اراه غلطاً، ثم اجرى ذكر المذكور وذكر انه كان زار مرة تيوت حين كان يأخذ فيها عن أمزاركو قال فوقع مني احسن موقع وحصل مني على إكبار وإجلال عظيمين الى الغاية، ولا اتمنى الا ان لا ازول عن مقابلة وجهه، قال وقد انشد من قصيدة قالها في المولى الحسن السلطان وفيه تورية بما يذكر فى علم المنطق .

نتيجة فضل شكله متآلف من الغر سبط السبط ذلك جامعه

---

1) وقبله : محبتي فيك تأبى أن تسامحني بأن أراك على سيء من الزلل

2) أودع كل ما قيده في (الرحلة الرابعة) كما ناولنيه ولده بعده .

من الكبر المقدمات فلم تكن بها خسة فليس شكل يضارعه

قال زرت مرة البلد فكنت عنده في محله، فقعدت مع الخادم وقد اغلى الماء على جمر كاد ينطفيء، ولا جمر آخر، فكتبت اليه وهو مشتغل بالفصل بين اناس :

هلم الى الغداء فهو مهيأ وأخر مرا الاوباش فالجمر قد خبا

فاسرع بالمجيء فرحا، ثم إنني اخبرته بانني وقفت له على آثار واعلمته بما اجمعه من آثار العلماء ، فقال سمعت بذلك ويالتيك صاحبت معك ما تكتبه لتتلو علينا منه، فقلت له سأفعل ذلك ان شاء الله إذا وفيت بالوعد، فقال لما ذا لا تسكن اليوم عندنا ، فان المدينة شاغرة من العلم ، فتوانسنا فداعبته قائلا : لو كان لي الاختيار لما قصدت إلا المدن التي يتوفر فيها كل شيء ، وتجبى اليها كل الثمرات، ولا اسكن في هذه القرية الكبيرة، وأنا الان والعالم كما ترى ، لا ابتغى بقريتنا بإلغ بديلا، وقد تيسر لي فيها جميع الضروريات في الحياة ، ثم لا اتحول عنها حتى يهدأ العالم ان شاء الله ، دار كل هذا ونحن نتغدى الطف غداء حضري في قبة حضرية ، والقاضي النحيف النير أمامي كأن له في الحضر جدودا ، رقة ولطفا ، وحسن سمت وجمال بزة وخبر شارة، وولده النبيه النجيب سيدي محمد المتخرج من فاس من عهد قريب معنا .

ثم استأذنته في الخروج لاجول في بعض أنحاء المدينة ، فمررت مع ولده بضريح (سدي أسدي) فترحمت عليه ، ثم وجدت الاخ آيبا فجلست معه في دار سيدي العربي التزنيتي فوجدت في يده رقا كتب فيه بعض ما لفت انظاره من عوائد الاعراس الرودانية ، فقال إنما قيدت بعضها وكان ينبغي ان تتبع كلها فقرأت القرطاس ، فكان فيه ما ياتي وقد أبقيته بعبارة الاخ ليظهر اعتناؤه التام باقتناص الفائدة اين وقع عليها (والحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها).

كيفية عرس أهل تارودانت (1)

متى يخطر في بال العزب ان يتزوج ، يبدى فكرته لقرنائه الذين هم

1) كتبت هذا لجريدة عربية لتنشره ، فحذفته الرقابة في ذلك الوقت .

أصحابه ممن لم يتزوجوا بعد ، يتذاكر معهم في ذلك ، ويجيلون القداح حول الاسر وكرائمها حتى يستقر رأيهم على كريمة بني فلان. فينسل احدهم ليجس نبض والدها أو ولي من أوليائها إن لم يكن حيا والدها، فيداوله حتى يجره الى ان فلانا ربما خطر له الالتفات الى كريمتك، فما رأيك؟ فإنني كرسول خاص من قبله ، فان طاب اهل الكريمة بالخطيب نفساً فانهم يجيبون بالقبول وانهم يخطبونه . وإذ ذاك ياتي والد الخطيب أو أحد أوليائه إن لم يكن ابوه حيا ، فيخطب عند اهل الكريمة الخطبة الرسمية، فيقدم بين يديه هدية لا تخرج الامن جيوب أتراب الزوج، إن لم تكن كلها فجلها، ثم اذا أظل العرس يقدمون ايضاً من عندهم ما يسمونه بالدفع، وهو عجل وكسوة تامة من قفطان ودفينة وسراويل وقميص ونعل وقطيب (1) ونقاب ورداء . وهذا كله عادة أوجبته الاعراف. ويختلف نوع هذه الكسوة باختلاف طبقات الناس فيدفع كل ذلك الى أهل الزوجة، وفي يوم العرس يستدعى الناس بالبطاقات فيها الاسم والوقت واليوم المعين والمكان الذي تقام فيه حفلة العرس، وفي وقت الطعام تفتح الابواب فيأتي الناس الجفلى (2) من استدعى ومن لم يستدع، وهذه الحفلة تقام ليلة يوم العرس، فيصدر كل الحاضرين أكلا وشرباً ، ثم تبتديء الالعاب المألوفة والناس اختلط حابلهم بنابلهم، والرجال والنساء في الازدحام بالمناكب يدومون على ذلك الى ان يطلع الفجر، هذا كله يقوم على حين ان الزوج قد انفرد مع أترابه في مكان خاص يشتغلون بالقصف وتناول كل ما لذ من طعام وشراب ، والموسيقى والطبول والمزامير تملأ الجو نغمانها، يدوم ذلك كله طوال الليل ، وذلك هو لب العرس ومظهره .

وعند طلوع الفجر يخرج الناس كلهم أجمعون من دار الحفلة العامة تقدمهم الطبول والمزامير، ومباخر الطيب ومراش ماء الزهر ، فيقصدون دار العروس

---

1) القطيب هو الخمار الملون الرومي في الاصطلاح المغربي .

2) تلميح الى قول الشاعر

نحن في المشتات ندعو الجفلى لاترى الآدب منا ينتقر

التى وقع العقد عليها أثناء الليل في دار أهلها، بوساطة والد الزوج أو وكيله، فاذا وصل الجمع الحافل أمام دار العروس، يصطفون واصوات الطبول تزعج الآذان، مترقبين خروج العروس، فاذا بدت تختال بين اهلها أو محمولة فى منصتها، يبادر أحد الحاضرين، بأعلى صوته قائلا : (بايع) يعني أدوا التحية كما يقال أمام السلاطين، لان العروس وكذلك زوجها ينزلان فى حواضر المغرب كلها منزلة السلاطين، ولذلك يحييان بمثل هذه التحايا الملكية، فإذ ذاك يصيح كل الحاضرين بقولهم: (الله يبارك فى عمر سيدي، الله يبارك في عمر سيدي) ثم ينتظم الموكب فيتقدم اصحاب الدفوف والمعازف والطبول، ثم جميع الحاضرين، وهم يمشون الهوينى، ورائحة الطيب من الند والعود تفغم المعاطس، والموسيقى تشنف الاسماع، والعروس وحشمها فى ذنب الجميع، يحتف بها أهلها وأربعة من الرجال الاقوياء من الشبان يلعبون بخناجرهم اللماعة المصقولة المسلولة فوق رأس العروس، فتسمع من ذلك قعقعة السلاح الممزوجة بأصوات المعازف، وبصوت المنادي الذي يكرر فينة بعد فينة (بايع). وأصوات المجيبين يقولون بصوت واحد: (الله يبارك فى عمر سيدي) ولا يزال الموكب هكذا يمشي مشي الحباب على الكؤوس برفق وتؤدة، حتى يصل دار الزوج، فتدخل العروس وحشمها: النساء الى دار النساء ، والرجال الى محل الرجال، فيشتغل الكل بالالعاب، الى ان يتهيأ فطور الصباح، فيتناوله الجميع، فيراجعون ألعابهم جميع النهار الى العصر ، لا يقطعونه إلا لاكل أو شرب، وعند العصر يتوجه الجميع الى المحل الذي فيه الزوج الذي يطلقون عليه (العريس) (1) بمحل احتجابه . كما يقولون . فيتجلى سيدنا (العريس) في أبهته، بلباس فاخر عال، فيبادر الطلبة بافتتاح المديح . ولا يكاد (العريس) يبرز للعيون حتى يصرخ المنادي (بايع) فتسمع بصوت يصك الآذان: (الله يبارك فى عمر سيدي) ، هذا والطيب من الند والعود وماء الزهر مثل غمام فى الجو، والمعازف والموسيقى تصدح رناتها، ويملأ الاسماع بمها وزيرها (2)

---

1) العروس يطلق في اللغة على الزوج والزوجة معا. ولا وجود للعريس للزوج.

2) البم والزير والمثنى والمثلث أسماء أوتار العود الاربعة .

والخناجر المسلولة تبرق على (العريس)، والصراخ ممن لا يملكون مشاعرهم من الطرب والقصف يصم المسامع ، ثم يمشي الجميع مع (العريس) مبايعين مترنحين رويدا رويدا ، وان مروا بدار تسمع من نوافذها الزغاريد والصياح المتتابع ، الى ان يلجوا بالعريس داره ، فيجد في وسطها كرسيا منصوبا ، فيتفضل سيدنا (الملك) بعد ان يحيا التحية الملوكية، فيجلس على أريكته، فيحيط به الحاضرون والحاضرات وقد انتهكت السجوف، وذاب الوقار، وغاب أهل الحياء والتجهم ، وقام أبو نواس ينادي في الناس :

ألا فاسقني خمراً فقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر
وصرح بمن تهوى ودعني من الكنا فلا خير في اللذات من دونها ستر

يتجلى سيدنا (العريس) على عرشه، والناس دونه جالسون، وبين يديه منضدة صفت عليها آلات الحلق، والحجام واقف يحل فوطاته، متهيأ لحلق رأس (السلطان) فيضع الفوطة على أكتافه، فيبل شعره، فيحمل الموسى، فكان كلما اقبل الى الرأس بها، يتراجع كأن في رأسه أفعى يفرق [1] من اذاها، يفعل ذلك مرات، الى ان يقوم أحد الحاضرين من أتراب (العريس) فيحل الباب فيلقي في فوطة ممدودة بين أيدي الناس ما يلقيه من أوراق مالية من ذوات المائة فرنك ، فينادي أحد من يبسطون الفوطة: إن فلانا حل الباب بخمسمائة مثلا، ثم تنهال الاوراق المالية على الفوطة من الحاضرين والحاضرات، والكل متغالون فيما يلقون، لا يرضى أحد ان يفوقه غيره، فتدور المعركة في المزايد، فيعيد الملقي اولا مرات، والشبان يؤدون عن الشاباب، وكل يشتري ود حسناء بثمن غال ، ومن أدى كثيراً عن كعاب استحق مخالتها بالمهر الغالي، هذا وقد انتهك الستار، وزالت النقب عن معارف [2] ذوات الدلال .

وكل يشتري من يريده بالاداء عنه حتى ذوات الغنج والكحل ، قد يؤدين عمن يرغبن فيهم من الشبان ، ثم لا يزال الحجام يتردد في الحلق إلى

1) يفرق مضارع فرق كفرح : يخاف.
2) المعارف . الوجوه .

ان يعرف أن الجيوب فارغة ، وأن حدة المسابقة في امتلاك قلوب الشبان والحسان قد فترت، فاذ ذاك حين تجمع الفوطة الواحدة او الفوطات المتعددة الممتلئة بالاوراق ينقدم فيأتى على حلق رأس (العريس) وهذا المال يختص به (العريس) وقد يجتمع له منه آلاف، وقد أعرس أخيرا بعض أثرياء تارودانت من التجار، فاجتمع له من ذلك زهاء اثني عشر ألف ريال.

انتهى ما كان مقيداً وقد استخرجته من المبيضة بغير تصرف كثير، ولا ريب انه لا تزال هناك ذيول لما ذكر ، ولم نوفق الى كتبها ، وقد يطلع بعض الاغبياء العريضي القفا على هذا ، فيستبرد الاعتناء بمثله ، فيقال له : ليس هذا بعشك فادرجي ، ولله در المصريين الكرام المتطلعين الى معرفة كل ما يجهلونه فإن أخانا الاديب الكبير المكي الناصري حكى لنا :

انه حين كان ياخذ في الجامعة المصرية، كان سامر مرة مصريين، فيحكي لهم عن بعض عادات المغاربة في أعراسهم، فاقترحوا عليه أن يكتب في الموضوع ثم يلقيه في ناد من النوادي العمومية محاضرة، فوقع على المحاضرة إقبال عظيم خصوصا من الشبان ، قال : ثم لم الق بعد هذا الحين شابا مصريا الا قال : اتمنى لو أعرس في المغرب عندكم لاستطيع أن أكون سلطانا أسبوعا ولو خياليا ، وما أعذب بعض الاشياء ، ولو لم تكن الا من الخياليات .

ثم عند الاصيل ، ذهبت لازور دار البارود ، وهي كل ما يزار هناك لما يذكر من بنائها ، فوجدتها مسدودة الابواب غاب بوابها، فرجعت متأسفا، وفي ذهابي اليها مررت بدار كريم تارودانت (الحاج مبارك) ، فعاتبني على ان لم انزل عنده ، فاعتذرت بأني مستعجل ، فأظهر التأسف على عدم امكان تلبية دعوته ، لانه استدعاني للعشاء ، ولم أزر المساجد ، لانني كنت أعرف المسجد الكبير وعندي علم بما كان مكتوبا في الصف الذي زاده المولى الرشيد [1] سنة 1082 هـ كما كنت أعرف مسجد (مفرق الاحباب) على أن عذري الحقيقي هو ضيق الوقت ، وهناك تاجر كبير من (توف لعزت) حث الاخ على أن أراه

1) ذكرت ذلك في رحلة من (الحمراء الى إلغ)

متى خطرت هناك، ولكن لم يتيسر ذلك، والحقيقة ان لهذه المدينة علي دينا لم أوفه بعد، ولعلني أوفيه عن قريب بحول الله، حتى باشاها الاديب، فإنني لم أزره، وحتى القاضي الجديد سيدي محمد بن علي لم أره، مع ان بيني وبينه بعض معرفة، وقد سأل عني بعد ما رجعت، فأرسل إلي سلاما ممزوجا بالعتب حين لم أره، يسر الله أداء حق تلك المدينة المحفوفة بما أسدته إليها الطبيعة من بساتين اشبة[1] ملتفة الاغصان، ومن بساتين مخضرة باهرة العمران، ولا أزال أحب (رودانة) مذ أنبتت صاحبنا الاديب محمد بن عبد الله أخرباش الغريب في البيضاء، وقد سالت عن اخوته فلم يتيسر ان القى واحدا منهم، ولله في خلقه شؤون.

الاحد 9 ربيع الثاني

ركبنا السيارة قبل طلوع الفجر بعد ما توضأنا، فوقفت بنا عند الاسفار في المسمى (أربعا وأربعين) فنزلت أنا ورفيقي الشريف مولاي محمد صهري، فودعنا الاخ ورفيقه عبد الله الاجبوري قاصدين أكادير فالصويرة توا، فصليت ورفيقي الصبح امام دار القائد بوشعيب الزموري، ثم سألنا عن دار مقصودنا الحاج محمد بن وكريم التملي، وقد بنى دارا هناك بين أراض اشتراها واستعمرها، فنزلنا على الرحب والسعة في داره البعيدة عن ذلك المحل بنحو ألف متر او اكثر بقليل، فاستعذبنا النعاس في خلوة كنا اليها محتاجين، ولم نصادف رب المثوى فلم يجيء الا العاشرة ونصفا، فاشتغلت بعد الاستيقاظ في تدوين مذكراتي ولم يعتم ان جاء، فتناولنا الغداء، ثم خرجت معه واليوم طلق بهيج، نجول في ضيعته المتسعة، وقد حفر فيها آبارا، وغرس فيها من كل نوع، وعند الظهر استرحنا قليلا في الدار ريثما تناولنا شيئا، ثم خرجت معه نحو مركز (أربع وأربعين)، فسأل عن القائد بوشعيب لانه صفيه، فلم يجده في داره، فجلنا في ضيعة القائد الفيحاء الفينانة بالارنج صفوفا صفوفا مد البصر، والارض مخدومة

---

1) شجر أشب بكسر الشين ملتف.

أحسن الخدمة، والمضخات مطلقة العنان، فيجري جدول كبير من الماء متدفقا، وهذا القائد من المتخرجين من المدرسة الحربية، ثم انخرط في الذين خاضوا حرب 18.14م فأدرك فيها رتبة الضابط، ثم لما عين قائدا على هوارة جاء بمتاع قليل، وهاهو ذا اليوم متسع الاكناف من كل شيء، لانه يحتوش اموال هوارة بسبب وبلا سبب، وهو الذي يتسلط على الوطنيين كشواظ من نار، وهو مهتم بالمادة وبالفلاحة وبكل شيء، واخبرت انه ربما ينصح الهواريين ان لا يبيعوا اراضيهم للاجانب، ومقصوده ان يشتريها هو اولا، ثم يبيع للاجانب، ليكسب بذلك ما يملأ جيبه، واخلاقه اخلاق امثاله كما لا يخفى، ثم درنا حول اراضي ابن وكريم. وهي متسعة الى الغاية، ويقدرها هو بنحو 100 هكتار، ولم يستعمر منها الا قليلا. وقد ذكر انه ترك عن عمد كثيرا منها مرعى لماشيته، وفيها كثيرمن اركان، وليس هذا وحده ما عنده، فإن عنده اراضي اخرى للناس مرهونة في يده، تسقى بماء الوادي، فيها بساتين الزيتون. وهذا الرجل اليوم يناهز 66 سنة ـ كما ذكر لي ـ ونشاطه الفتي، لا يعرف مللا ولا إعياء، وله ثروة كبيرة رباها من اول فلس من سنة 1313 هـ يوم خرج من داره على رجليه. وله الان مركز في البيضاء كبير يقوم به ولده السيد احمد من افاضل اصحابنا اليقظين الوطنيين، ولوالده المذكور مركز في تافراوت بلده بأملن، وهو ذو صلاة يحافظ عليها، ثم ليس بعدها الا الجري الذي لا نهاية له، ولو كان المسلمون كلهم في مثل هذا النشاط، لاستحوذوا على مالية العالم، ولتفوقوا على الاسرائليين. ورحم الله أبا الدرداء اذ يقول: اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا. وفي المروي حديثا: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، بل من اخذ من هذه وهذه. وهذا الفتور الذي استولى على جل المسلمين مما يسمونه ـ كذبا ـ زهدا، من الادواء التي انهكت قوى الاسلام، فالمسلم متى قام بتوحيد ربه، مؤدياً حق ربه في ماله، لا يلام ان افرغ جهده فيما يعلي شأنه وشأن امته، ولكن اكثر الناس لا يعلمون،

جئنا مع مضيفنا وقد قصد أيضا أݣادير الى السيارة الاتية من تارودانت فإذا هي مفعمة وليس الا سطحها، فزعم مضيفنا انني لا اتنازل الى الركوب على ظهرها حسبانا منه انني ممن يشمخون بأنوفهم، ويزمون عن أمثال ذلك، فقلت له بل نركبها ولا بأس. فإن هذا الضباب يحجب عنا الشمس، ثم هناك الاستمتاع بالمناظر الطبيعية الجميلة، فجمعت على ثيابي ولبست جبة أعدها للمهنة، وليلبس الانسان لكل حالة لبوسها، فتسلقت السلم فتوسدت المتاع المتراكم على السطح بين الركبتين، فوجدت إزائي رجلين أهليين، فسرعان ما تجاذبت معهما الحديث فررت عليهما عليا؟ وابن وكريم قد تلفع بذيله منكمشا كأنه لا يرضى بمثل هذه الركبة مع أنها ممتعة حسنة، فصرت اسائل الرجلين عن أسماء ما نمر به من القرى، كما أنشأ يسألاني عن أمور دينية، فعقدت هناك درسا حلوا في أمور سألاني عنها، فكنت أفصل لهم ثم أعود فأسألهم لانظر هل فهموا عني - كأنني توسطت فصلا دراسيا بين التلاميذ - كل ذلك من ابتهاجي بما استمع به مما أراه بين يدي من ضياع عامرة وغابات ملتفة، وديار المعمرين حمراء جميلة، ومما أتذكر أنهما سألاني عنه، الصلاة فى السيارة وزكاة الاوراق، وقد حمدت لهما بحثهما عن الديانة لعزمهما على القيام بما يجب عليهما، ومن لابس الطبقة الواطئة في بلادنا هذه، يجدها أقرب الطبقات الى الخير، فيها استعداد عجيب لادراك الاسرار الدينية، وتصديق لكل ما هو الى الدين. وقد كان مما مررنا به من بعيد إثر فراقنا (أربعا وأربعين)، دار الشيخ السيد بلعيد (1) أحد كبار الهواريين ومن أكابر متموليهم، ويذكر عنه كرم عجيب، وعقل حصيف، وتؤدة تامة، وقد حج بيت الله الحرام، وقد حبب إليه أهل الخير كلهم وأهل العلم، وعنده اليوم في مدرسة قرب داره الفقيه احمد البوزوكي الشهير فى هذه النواحي، وقد ذكر في (القسم الثالث) من (المعسول) وقد ألح علي الحاج محمد بن وكريم

---

(1) توفي 1365 ه كما سمعته أو فى أول التي بعدها.

ان أتلبث عنده يوما آخر لاتصل به، فاعتذرت له بعذر، والعذر الحقيقي هو أنني من أزهد الناس في التعارف بأمثال هؤلاء الرؤساء إلا إذا جاء التعارف عفواً، لانه قد قر في قلوبهم ان كل من أتى اليهم إنما أتى الى جيوبهم، وأي أبي حر عزوف يتنازل عن الرتبة الشماء من أنفته الا لمن تواضع من هؤلاء وجاء فلا بأس، وفي المثل العامي، من جعل الناس سواء، فليس لحمقه من دواء. ومما مررنا به دار الشيخ حمو من (أزرو) وهو تحت يد باشا اكادير. ويذكر أيضا بالغنى والعقل والتمييز، وقريته كبيرة رأيناها من سطح السيارة، كما نعتوا لنا ايضا داراً اخرى كبيرة لاحد أهلها، وقد سقط علينا رذاذ هناك وضعت فوق رأسي دونه لبدة معي، ثم وصلنا القنطرة [1] ـ قنطرة أيت ملول ـ نزلنا من السطح الى المقاعد في داخل السيارة. فوجدت أمامي سحابة دكناء من الدخان الذي يتعاطاه المدخنون، فكدت أختنق، فقلت أين هذا مما نحن فيه آنفاً؟ وهكذا قد ينتفع الانسان بما يظنه ضرراً، وقد يتضرر بما يخاله نافعاً.

ولربما سقط الحمار فكان من غرض المكاري

والسيارة اليوم والحرب قائمة في الندرة بمكانة، ومن يسافر في مثل الاحوال، فليعول على كل ما يقاسيه. فالانسان الذي كان خبر أحوال الاسفار، وعجم تقلبات الافتقار، فإنه يستعد لكل ما ياتي به الليل والنهار. ثم لما نزلنا بأكادير عند إنسان كان بيننا وبينه موعد، وهو الرجل الصالح الحاج البزيد من سكان (فونتي) قديما ثم من سكان (تلبرجت) اليوم، وعنده أولاد يصلني دائماً السلام من عندهم، فأجبت والدهم رغبة في التعرف بهم والتعرف بي، فإذا بأحدهم من أفاضل شبان هذا العصر، كأنه فاسي ثقوب ذهن وغيرة على وطنه ودينه كما ظهر لي منه، ومعرفة بحال هذا العصر، وقد كان امضى في باريز 12 سنة كما أظن أنه أخبرني به. فثاب بعقلية صافية كسته من محبة الدين، وملازمة الصلوات في أوقاتها، والتباعد عن السفاسف التي ابتلي بها كثير من شبان هذا العصر. حلة جذابة مع كونه أميا، كما أحسب أنه ذكره لي، فأمضينا

---

1) وهي التي جرفها السيل في اول الاستقلال ثم اصلحت غاية الاصلاح.

عنده ساعة حسنة ، ثم تصاحبنا معا الى الوطني الكبير بل أول وطني من شبان جزولة السيد احمد بن الحاج الامين التاجر الكبير التملي ، وقد كنت رأيته في مروري هناك ، فافترقنا على ان نتلاقى ثانيا ، فجلسنا ثلاثتنا مليا ، فجالا وحدهما في أمور وأمور ، وأنا أسمع وأزن العقليات ، فأعجبت بالشابين اللبقين الغيورين ، وقد حكى لنا الامين أمورا وقعت له حول وطنيته في بلده وفي اكادير مما يجب علي أن لا أسطره الان، لان المجالس بالامانات ، ثم تـوادعنا بعد شراب بنفل حضري ، ثم ودعت بنت سيدي سعيد التناني ، لانها لاتزال في انتظار ، فصليت العصر في (إينزكان)، فأجبت داعي الاخوان في (الدشيرة) وهي قرية إزاء (إينزكان) وقد لاقيت ذلك السيد احمد الخليفة من الطلبة النجباء الآخذين عن الشيخ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي ، فطلعنا الى منتزه ازاء المراقبة المبنية في دار القائد الفتاك محمد بن الحاج الحسن ، وهو منتزه عجيب يشرف على كل ذلك الوادي وعلى المساكن الممتدة الى اكادير ، وهناك مشهد على سيد يسمى سيدي مباركا ، لانعرف عنه شيئا ، فشرعت اسأل جليسي عن الشيخ سيدي الحاج مسعود وأحواله ، فذكر أنه سيجيء في الغد لنلاقى فطاب الفؤاد جدا بذلك ، ثم صرت أقيد عنه نجباء التلاميذ الآخذين عنه ، فكتبت البعض وكلفته أن يجمعهم لي في قائمة ، لالحقهم بترجمة الاستاذ حفظه الله ، ثم أوينا الى نزولنا ، فتلقانا الذين ضيفونا بما هو مألوف منهم من قديم مع أسلافنا رحمهم الله .

الثلاثاء 11 ربيع الثاني

كنت انصلت من العشية من أمس بالفقيه الصوفي المتبرك به سيدي عبد المالك ، من أحفاد سيدي ابراهيم بن علي التيغانيميني ، وكان حلوا فكها محاضرا عارفا بأخبار تلك الجهة، فاستفدت منه عن نفسه وعن اسرته آل ابراهيم بن علي وعن استاذه أعبو وعن الشريف الكثيري وعن آخرين ما ادرجه في (المعسول)، كما استفدت منه امورا اخرى نودعها هنا ، كأسماء علماء منهم :

ابراهيم بن علي البوزكي عم الفقيه احمد الموجود الان في هوارة ،

فقيه حسن صوفي اخذ عن الحسن التمكدشتي ثم ارسله الى مسجد بورج المداح في الكفيفات فلازمه إلى ان توفى نحو 1340 هـ. وكان صالحا مذكورا بكل خير، وولادته نحو 1260 هـ. ويضاف الى اهله المذكورين في (القسم الثالث) من (المعسول) .

مولاي ابراهيم الفلالي : فقيه مذكور تخرج بالتمكدشتي المتقدم، وقد كان في زمن انقطاعه بتمكيدشت مقلا الى الغاية ، فقال في نفسه: لم لا اشكو حالي الى الشيخ سيدي الحسن وهو كالملوك يتقلب في النعم، لعلي اتوصل منه بمعونة ؟ قال فاستأذنت عليه ، فوجدته وحده يتلو في دلائل الخيرات ، فبادرني بأن افضل الناس من اجتمع له الفقر والعلم ، وهما تراث النبي حقا والحسن يعني نفسه ليس له من هذا التراث الا قبصة[1] من العلم، يقول ذلك وهو يتوجع مما أقبل عليه من الدنيا، قال الحاكي: فعرفت مغزى كلامه، فاطمأنت نفسي ، ثم إنه سكن اولاد دحو ، وقد كان من بين الماسورين حين ذهب المولى الحسن حلل هوارة، وله ذكر كبير في العلوم، لعله توفي نحو 1320 هـ.

الحسين القاضي بفونتي من اكادير : علامة جليل انفرد في عصره في اواسط القرن الماضي للقضاء بين الناس ، لايرد له حكم ، ولا تنقض له فتوى، كان متدينا مراقبا لربه . غير جشع في الذي يتوصل به من الناس، اتاه انسان مرة بمائة مثقال عن قضية حكم له فيها ، فتناول منها أربعين ورد عليه الباقي قائلا : هذا ما استحقه بعملي فقط ، وقد تزوج الحاج العربي الدشيري بنتا من بناته ، فهي أم الرئيس عبد الرحمن ، توفي نحو 1288 هـ. وقد شاخ وألمت به علل ، وإنما تعينه الخادم إلى أن يجلس للناس في أخريات عمره.

محمد بن الحسين ولده : يذكر أيضا بالعلم، توفى بعد صدر هذا القرن ، ولعل ذلك بعد 1320 هـ.

الحسين بن الطاهر بن الحسين القاضي المذكور : تخرج بأعبو ومن فاس ، ثم شارك في مدرسة (أوربر) ثم أم حينا في مسجد (اكادير) وحينا فى

---

1) القبصة: ما تتناوله رؤوس الاصابع من شيء، بخلاف القبضة التي هي ملء الراحة منه.

في مسجد (فونتي) ، زاول النوازل قبل الاحتلال ، توفي نحو 1347 هـ.

محمد بن يحيى البنسركاوي الكُسيمي : تخرج بالحسن التمكدشتي ، وهو الذي ارسله الى كسيمة ، كطلب من القائد الحاج احمد الاينزكاني ، فدرس في مدرسة سيدي ميمون ما شاء الله ، الى ان توفي نحو 1810 هـ وكان يقضي ويفتي .

محمد بن علي امزيل (الحداد) من أسرة كل افرادها حدادون : عالم كبير كان ابن نفسه ، عصاميا مشهورا ، رفع راية العلم في قريته بإنزكان ، كما كان يقضي بين الناس في عهد القائد الحاج احمد ، وله اخبار حسنة ، توفي اواخر العقد الثاني من هذا القرن، وله ولد يسمى عبد الرحمن ، اخذ عن الفقيه مبارك البوزوكي - من اسرة المتقدم آنفا .

هؤلاء من جرى ذكرهم فقيدتهم عن ذلك الشريف وعن غيره من بعض المسنين الحاضرين ، واخبار علماء تلك الجهة قد ضاعت كثيرا، مع ان فيها افذاذا ، والعلم كان كثيرا هناك كما كان كثيرا في كل جوانب قبائل سوس، وناهيك بالعلامة صالح الماسكيني المذكورة مناقشته مع عيسى السكتاني في فتوى توجد في كتاب (العكاز) ولم نعلم له ترجمة الى الان ، الا انه من اهل الحادي عشر لا غير. وماسكينة جارة كسيمة واكادير من مواضع العلم، وان كان ذلك اليوم قليلا . فإننا لا نعرف الان من قبيلة كسيمة واكادير الاقليلين ، كابراهيم ابن التعامي التامري المشارط في مسجد ارحالن، وقد تخرج بالمحفوظ مدرس مدرسة المحصر في زاوية الشيخ سيدي محمد التلقيي من قبيلة انكنافن، ولا يزال ابراهيم حيا وشابا ، وكأحمد الخليفة ممن اخذ عن الحاج مسعود ، ويظهر انه عالم حسن ، وهو اليوم في قرية انزكان ولا بأس بمعلوماته، وقد حدثني الشريف ايضا عن محمد بن عبدالله الخرباني الهواري من المتخرجين بالاستاذ احمد الكشطي ، ويشارط في قرية (تيكمي اوفلا) . وفي مدرسة ايت يعزى ولا يزال حيا .

وحدثني أيضا عن الفقيه احمد البوزوكي أحد المتقدمين ،

وقال : إنه أخذ عن عبد الله اليفتركائي وعن أعبو ، وشارط حينا في مدرسة سيدي ميمون وفي أولاد تيمة بهوارة، وكانت له شهرة عظيمة أيام الطاغية القائد محمد بن الحاج الحسن الانزكاني، فكان يشفع عنده ويراعيه أحيانا، وهو الذي ذكرنا أنه اليوم عند الرئيس الحاج بلعيد الهواري، وله ولد يسمى الحسين، أخذ عن أبيه ويشار إليه بنجابة . والاسرة البوزوكية من الاسر العالمية بسوس كما ترى، وهي مذكورة - كما تقدم - في (المعسول).

هذا وقد أخذت أيضا عن آل الحاج العربي رؤساء الدشيرة قبل هذا العهد، أنباء سأنظمها في مكانها في القسم الرابع من (المعسول) إن شاء الله، لانه من أصحاب الشيخ الوالد، وهم ورؤساء أنزكان إخوة، وقد انقطعت اليوم الرياسة من الجميع، وقد حكي لي من أثق به من المسنين، انه كان يسمع من نحو سنة 1320 هـ أن محمداً الكسيمي ستنال منه قبيلة ماسكينة ما ينالها، فصدق ذلك بذلك الطاغية الذي ما تولى إلا في سنة 1331 هـ أو السنة التي بعدها، وعلى يده وقع الاحتلال ثم عرك الناس عركات لم ينسها أحد الى الان ، كما سمع أيضا إذ ذاك ان آخر رؤساء أنزكان يسمى عبد المالك، فصادف أن أخاً لذلك الطاغية يسمى عبد الملك ، خالف على أخيه يوم اختلف الطاغية مع الحكومة، فنزعته من القيادة ووضعت هذا في موضعه، ثم لم ينشب هذا أن هلك فانقطعت الرياسة منهم، وأتى الباشا الفقيه الحسن بن ابراهيم التامري الذي لا يزال الى الان هناك، وأمر هذا الرجل تتخله أعاجيب تدل على أن ما قالته العرب صحيح (فقاتل بسعد وإلا فدع) فقد أخبرني من عرفه قبل ان يدرك هذه المرتبة قال أرسلني الحاج الحسن الكلولي من أكادير إثر وصول بيعة الهيبة إلينا، لاوصل الخبر الى أخيه القائد مبارك في (تمانار) بايدا كيلول قال، فنزلت مع أصحابي في مسجد قرية (امي واسيف) إزاء البحر، فأمرت أصحابي أن يهيئوا لنا مأكولا ومشروبا، ريثما أنام نومة قليلة، فأوقدوا ناراً، فإذا بالفقيه الحسن خرج اليهم من المسجد، وكان مشارطاً فيه؛ فسألهم عما يفعلونه، فأخبروه عني، فأمرهم بإطفاء النار، فأرسل إلى داره، فأتى إليه منها بطعام، وهيأ الصينية المصقولة - وكل ما

في إمكانه ـ فحين انتبهت دخل علي مرحبا، فرأيته في أبهة مرموقة، لا تليق ان تضيع في سيف البحر، وفي ظلال المساجد، وفي صيد الحوت، لانني أسمع عنه أنه كان يتلهى في أوقاته الفارغة كلها بصيد الحوت كثيراً بالقصبة، فجاذبته الكلام، فقلت له ما ذا تصنع هنا؟ ألا تريد ان أنظر لك مكانا يليق بك؟ فقال بلى. جزيت خيراً. وكان إذ ذاك كما تخرج من مدرسة سيدي الحاج الحسن الكزوبي ، ثم التحق بالقائد مبارك الكيلولي، فرآه كاتب له خاص حسن القلم جيد الخط، فاحتال عند القائد حتى نفض يده منه، فآوى الى ذلك المسجد، قال فقلت له، ما رأيك في الكتابة عند الحاج الحسن بأكادير ؟ فتهلل فرحا وقال ان التحقت بذلك المقام فانني لا أنسى يدك ما حييت، ففارقته على ان امر به مرجعي، فلما قضيت الغرض عند القائد، ذاكرته حول المذكور، فقال القائد انه نعم الكاتب. ثم أشار الى كاتبه فقال: لولا سعي هذا لما فارقني، ثم كتب رسالتين: الى المذكور أن يلتحق بأكادير، واخرى الى الحاج الحسن في استكتابه، قال وقد جازاني القائد خيراً قائلا: إن الحاج الحسن لا كاتب عنده ، فإن رسائله التي يخرمشها [1] بيده تاتينا ولا نقدر أن نقرأها، ثم مررت بدار المذكور فإذا به قد سافر سفرة قصيرة ربما يروح منها العيشة، فألح علي والده سيدي ابراهيم ان ابيت فبت مرغماً، فذاكرني المذكور ليلا حول ولده قائلا: إن ولدي الحسن لا بد ان يدرك مرتبة عند الحكومة، فافعل معه كل ما تطيقه اليوم من الخير لعلك تجازى غداً عنده قال: ولا أزال أتعجب من قولة ذلك الشيخ، هل أدرك ذلك بالفراسة أو بالكشف ؟ وقد كان أهلا لكل ذلك، لمصاحبته للشيخين: سيدي الحاج الحسن التاموديزتي والشيخ سيدي الحاج علي الالغي، قال ثم حين لم يرح علينا الفقيه سيدي الحسن، أوصيت أباه ان يلازم الدار حتى تأتيه بغلة يركبها الى أكادير، ففرح الحاج الحسن بالكاتب، فأتت به البغلة. فتولى الكتابة والخطابة في المسجد والقضاء بين الناس في الشرعيات، ورب المثوى يهتبل به اهتبالا قال : ولا أزال أتذكر ليلة نفست فيها إحدى كرائم الحاج الحسن، فلم يندلق رأس الولد من

1) خرمش الصبي الكتابة : إذا لم يبينها . وهي عربية فصحى .

الرحم، فيجري الى كاتبه يستكتبه تميمة، فوافق ان اندلق المولود بمجرد كتابة التميمة. فملأ كفيه بالريالات صبها في حجره، ثم لما انقلع الحاج الحسن عن أكادير، تقلبت الاحوال بالفقيه الحسن الى ان شارط فى مدرسة سيدي عبد الرحمن بأيت تامر، فمن هناك استدعي ليكون قائدا للقبيلة من غير ان يحلم بها، وما ذاك إلا لان الشيخ سعيدا التيكيزيريني تأبى من ملاقاة الحكومة، فتطلب من يجعله رديئة بينه وبينها، فصدقت فراسة سيدي ابراهيم والد الفقيه سيدي الحسن، وذلك فى مبدإ الاحتلال.

تلك الحكاية التي تحوم بباشا أكادير اليوم، وهي حقيقة لا مراء فيها ، ثم انه قام مقام القائد فى قبيلة أيت تامر وهو يتمول على عادة القواد ، الى ان زال عبد الملك الانزكاني بموته، فنقل الى أكادير حيث لا يزال الى الان .

وأقول إنني كنت عرفت هذا الباشا من سنة 1336 ه فقد مررت وأنا على جذع من الخيل بداره إزاء مخرم وادي أيت تامر، فأتذكر اننا تصاحبنا معا الى سيف البحر ، فتغدينا هنالك ، وقد كان ولده محمد هذا الجندي الضابط اليوم مع والده أمام سرج بغلة وهو صغير، وفى تلك السفرة فى ذلك اليوم، رأيت والده سيدي ابراهيم، فحكى لي ان دارهم كانت ممر الفقراء أصحاب سيدي سعيد ابن همو المعدري دائما ، ثم ممرا للشيخين : الوالد وسيدي الحاج الحسن التاموديزتي، وكان يحفظ كثيرا من كلامهم، ويفتخر بأنه منهم، وقد قال لي ذلك النهار : ان هذا الذي يروج فيه الولد ، مما لم نجد عليه آباءنا الاولين، ولكن رضينا بحكم الله، كأنه لا يرتضي مقام ولده في الرياسة .

ثم لم اعد أرى المذكور إلا مرة لقيته فى أكادير ولم ازره هذه المرة، مع ان الامين السيد احمد بن الحاج التملي، ذكر لي انه كان اخبره قبل مجيئي بأن فلانا ربما يزور هذه الناحية، ولم ازره لضيق الوقت ولاشغالي بمن هم مني وأنا منهم . (1) .

اليوم يوم الثلاثاء ، وبعد ان تناولنا اللهنة خرجنا الى دار بعض اصحابنا ،

---

1) ان هذا الباشا وغالب اسرته وابنه الضابط قد انقرضوا اليوم 1376 ه .

لانه ينتظرنا ، فتلاقينا في وسط الطريق بالفقيه سيدي محمد بن احمد ابن العم الكاتب عند القائد سعيد التيكزيريني (1) ، بل هو الذي يتولى جميع اشغاله، وقد كان جاء في اليوم الذي بكرنا فيه الى تارودانت، فلم يصادفنا فرجع موصيا على ان نعلمه برجوعنا، فأعلمناه أمس بالهاتف من أكادير، فذهبت معه الى دار ذلك السيد، ثم توجه جميع الناس الى سوق تقام ذلك النهار في إنزكان، فبقينا معاً منفردين ، ففتحنا بيننا ما أوكأه الدهر بالفراق منذ سنوات. ثم طاب لنا ان نجول على أقدامنا فأصعدنا في المحجة الذاهبة الى قنطرة (أيت ملول) ودونها نحو ثلاث كيلو ميترات، فقطعناها بالحديث، فوصلنا القنطرة، فصار يتعجب منها . فقلت له ما هذه بشي إزاء القناطر الهائلة التى نرى رسومهافي كتب السياحات؟

ثم جلسنا في مقهى هناك، فشربنا من شراب الرمان الذي كان هو المشروب الاثير عندي، ثم رجعنا أدراجنا ونحن في حديث يحشر كل شيء . فما تركنا مما حول شخصياتنا وأسرتينا وحول العالم وحول الحرب المتلظية إلا نشرنا حبره، ثم قصدنا إنزكان لملاقاة الفقيه سيدي الحاج مسعود الوفقاوي فلاقانا عبد للقاضي السيد الحبيب المثقال السويدي، فجرى الى صاحبه فلم ينشب ان رجع يستدعينا فقلت لصاحبي: إنني قاصد الى الاستاذ الحاج مسعود، فاذهب انت لنقتسم خطتينا بيننا. فدخلت على الاستاذ في دار الفقيه سيدي احمد الخليفة فبادرني منه تواضع ونبل وشرف كمين، فلم يلبث ان صار ينشد في كل مناسبة في الحديث ما يوافق، فلم نجلس إلا قليلا حتى جاء ثانيا رسول القاضي يستدعيني والاستاذ معا، فأسعفناه فتلقانا القاضي لقيا حضريا في روض أريض، ورونق آخاذ بالابصار، فتذكرت والله الحضر ورجاله وآدابه ومآدبه ونقاوته وكرمه في الحفلات، وقد كان عهدي بالقاضي يوم رأيته في دار القائد سعيد التيكزريني أول 1355 هـ في (تمانار) وليس عليه ذلك النهار رونق الحضريين مثل هذا اليوم فلم أكن تعرفت به إلا بعد ان انقضى المجلس، فكان التعارف بيننا قليلا ، ولذلك انقبضت هذا اليوم عنه لعدم تداخل القلوب ولوجود اناس في المجلس

---

1) توفى هذا القائد في اوائل هذه السنة 1377هـ في السويرة .

نحو ثمانية، منهم من لم أعرفه ولا يعرفني. فلويت رأسي تحت طي الجناح، الى ان أكلنا وشربنا، ثم رمقت إنسانا احسبه السيد الحسن الاخصاصي أبا المواريث في سوس كله. فتبادلنا التحية من جديد من غير استرسال، لان المقام لا يقضي إلا الصمات البحت. ثم ولج علينا اوربي بين آنستين. فشاهدوا عظم طواجين القاضي، وهي حقيقة كبيرة من طواجين الجيل الماضي الكريم، ثم قصعة كبرى طافحة بالسميذ المسنم باللحم، فلم تملك أحدى الاوربيات نفسها ان صاحت قائلة: لكن الفرنسويين يقتلهم الجوع في بلادهم ' فلم يجبها أحد إلا تونسيا صار يبصبص لها ولمن معها. ثم خرجنا نحن تاركيهم هناك، لان القاضي لم يشتغل بعد دخولهم بسواهم. غير انه ألح علي إلحاحا كبيرا ان انعشى عنده مع ابن العم الذي هو صاحبه من قديم فاعتذرت ثم لحقني ابن العم يقول : ان القاضي قد حثني على أن تجيئه إلى العشاء، لانه لم يرك بعد، ولانه يريد ان يجالسك في مجلس خصوصي ، فأجبته ثم اشتغلت بالحاج مسعود الاستاذ ، فحررت ترجمته ، كما اقيد كل ما انشده لاحلي به ترجمته في (المعسول)، وقد طلبت منه ان يوافيني بما توقفت عليه ترجمته من آثار، فأنعم بذلك يسر الله تمام المرام كما نريده، وقد أخجلني حين قال إنني اليوم ما جئت تحت هاطل صيب، بل الثياب إلا لاراك، فجازيته بكل خير، وقد تبدت لي عظمة الرجل من نواح في مجالسته وفي فوائده الكثيرة التي يفيض بها بله كرمه الذي اشتهر به اشتهارا كثيرا، فإنه يقيم لتلاميذه رأس كل اسبوع حفلة من حر ماله، كما انه يعين كل الضعفة منهم دائما، مع اكبابه على التدريس إكبابا لايفتر، فبذلك تأتى له ان يمثل دورا في التدريس لا يشاركه فيه أحد اليوم أيا كان، من جهة كثرة الطلبة والمتخرجين، وقد وسع الله عليه في ذات يده حفظه الله ، ثم ودعته وودعني راجين الملاقاة في وقت آخر قريب ان شاء الله وقد كان هو أحد مقاصدي في هذه الجولة والحمد لله على ملاقاته [1] وأما السيد الحسن الاخصاصي المذكور فهو شاب ذكي من شباب سوس اليوم الذين يخطبهم المجد بكلتا يديه، نقي اللبسة بشوش الطلعة، لطيف الحديث . وقد سألته

1) توفي الاستاذ رحمه الله نحو مختتم سنة 1365هـ وترجمته الواسعة في (القسم الثاني) من (المعسول) .

عما يمكن ان أكتبه عنه فقال: إنه الحسن بن محمد بن مبارك ولد 1329 ﻫ بتزنيت، وأخذ القرآن عن سيدي عمر بن محمد أعراب من قرية (إيدا كفا) وهو المذكور آنفا في تزنيت وقد جمع عليه القرآن وحرف المكي، ثم لازم الاستاذ الرفاكي في مدرسة (تالعينت) ست سنوات. كما أخذ ايضا عن سيدي محمد بن بلوش حين قتل إنساناً في بلدة (تاكانت) فنزل في (تالعينت) ثم تولى مع الاحباس 1347 ﻫ الى 1355 ﻫ فتولى خطة أبي المواريث في تزنيت الى 1358 ﻫ فتولاها في كل سوس في حكومة أكادير. ثم زاد على ذلك الكتابة في الاملاك المخزنية في أكادير هذه السنة 1361 ﻫ وذكر لي عنه انه من اقدر الناس على تصفية الاعمال الحسابية، قال الناظر بتزنيت: انه ياتي الى إدارتنا هذه، ففي حصة قليلة من الزمان يحرر كل الحسابات التي تراكمت من أشهر، وذلك لانه ايضا موظف في الاحباس كعدل، وذكر لي انه الى الان لم يقترن مراعاة لام له صعبة وفقه الله ويسر له .[1]

ثم انا في العشي تعشينا عند القاضي ثلاثتنا ، فعرفت من نفسيته ما أجهله فإذا به اريحي كريم السجايا، وقد أعد لنا وحدنا ما يدل على أن له نفسا عالية فلم يكف اللحم عن الدجاج ، ولا كفت هذه عن غيرها مما تابعه، وقد حدثني ابن العم بأن هذا هو عادته يوسع على نفسه وعلى أهله توسعة كبرى[2]. ثم جرى ذكر العلم في تلك الناحية ، فتأسف القاضي على انقطاعه ، ولا أدل على ذلك من أنه لا يوجد من يقوم بالدرس الرسمي الذي عينته الحكومة لاكادير الا بعد أن أتوا بأحد الفقهاء الابوشيكريين ، كان مشارطا في مدرسة أورير .

---

1) اقول ان الاخصاصي اليوم ناظر الاحباس السوسية في تارودانت

2) ولا بأس ان نذكر هنا نادرة من ذيول توسعته على عياله، وذلك ان حاجين تخاصما على شيء بينهما، فجاءا الى محكمته في مركز (تمانار) حين كان هناك، فمرا وراء داره حيث كناسة الدار وفيها كثير من العظام فقال احدهما لصاحبه اولا تريد ان نفصل ما بيننا؟ فإننا ان دخلنا في يد القاضي فإن هذا الذي نتخاصم عليه سيئول كله الى عظام كهذه ، فكان هذا هو السبب حتى تناصفا بينهما ، فذهبا لحال سبيلهما ، فاستراح القاضي منهما ومن امثالهم (لو انصف الناس لاستراح القاضي) .

قال القاضي ذلك فجعلت أحدثه عن اسرة الابوشيكريين وما مضى فيها من العلماء، ثم قلت له إن بقية حسنة لانزال فيهم ببعقيلة، ثم ان قلة العلم التي شكاها القاضي[1] انما كانت فيما يحتاج اليه من الرسميات كهذه لقلة درايتها لا غير، وإلا فإن الشيخ سيدي الحاج مسعودا ملأ كل تلك الجهة بالمعارف الزاخرة بتلاميذه. وهو والله مفخرة من مفاخر الغ، فقد انتشر عنه هناك ما انتشر عن ابي عبد الله الالغي او اكثر.

هكذا تم اليوم فبتنا في قرية (الدشيرة) وقد اضافنا الشيخ اسماعيل[2] ابن عبد الرحمن ضيافة كبرى مرارا، وهو من اكارم الناس الذين لا يعرفون قدر ما ينفقون، وقد اجتمعنا مع اخيه سيدي المدني ايضا وهو من تلك الوشيجة الطيبة التي حيل بينها وبين ما يوذيهم في مروءتهم او في دينهم. ورحم الله اخاهما سيدي محمد بن عبد الرحمن، فإنهم والله ممن تتزين بهم المجالس، وتتعطر بأخبارهم الكتب، وسنورد إن شاء الله أخبار هذه الاسرة في (المعسول) في (القسم الرابع) يسر الله تمامه.

الاربعاء 12 ربيع الثاني

أخبرت بأن السيد الاديب سيدي الحاج عبد الله الجراري الساكن في (انزكان) اليوم، قد فتش عني امس، حتى إنه أتى ماشيا الى الدشيرة ليلا، اذ نحن في دار القاضي، فلم يصادفنا، كما أنه فتش عني أيضا عند بعض اصحابنا في قرية (انزكان)، فوضعت بين عيني ان ازوره اليوم أداء لحقه، لانه من تلامذة الجد سيدي محمد بن العربي الادوزي. وعلى يده طبعت بعض كتبه بتونس، فذهبت مع الاستاذ ابن العم، فلاقانا في داره وسط النهار أحسن ملاقاة طيبة، فإذا به من أطيب الناس معاشرة ومجالسة، وجدناه يقيم حفلة للفقراء الاحمديين، وقد نصب برمة تفور في وسط داره، فقلت له قولة اشعب حين اتبع موائد ولجت الى بستان لسالم بن عبد الله بن عمر، ثم تسور عليهم

1) توفي القاضي نحو 1366 هـ. 2) توفي اواسط 1356 هـ.

فقام إليه سالم يقول، بناتي بناتي ، فقال له : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد، قلت له لا تشتغل باي شيء، فقد كفاك آل الدشيرة كل مئونة، فاجلس معنا لنقضي واجبات الملاقاة، ثم جعلت أسأله عن ترجمته وعن نسبه، فقال انه شريف وانه مولود في مكة، فأدلى بكل ما تقلبت فيه حياته الى الان، ثم أراني مجموعا كثيرا فيه مقالات نشرها في الجرائد، وقصائد ومقطعات ومختارات اختارها من مطالعاته، حين كان فى تونس وفي الاستانة وبيروت ودمشق وغيرها من البلدان التي كان زارها، ثم وعد ان يوافيني بسلسلة نسبه وما ينتجه من ذلك المجموع، وسنسطر ذلك في (القسم الخامس) من كتابنا (المعسول) ان شاء الله، فانه هو الذي وضع للاسهاب، وكان الحاج عبد الله موطأ الكنف، متعاليا الى المجد، مشحوذا بالغربة التي ركب متنها أزمنا، وقد شكر الله أمامي على ما أفاض عليه من نعم كثيرة من كل نوع، ومن شكر فجدير بالزيادة.

وممن لاقيتهم، إنسان يتعاطى المضاربات في الاموال، ويتولى السمسرة في الاملاك يسمى محمد بن احمد التيمكيدشتي ثم الايسافني، يسكن في (إنزكان) وقد أدرك مالا وقد كان تربى في (بووابوض) مع ابيه الفقيه سيدي احمد، وقد حكى ان اباه هذا كان أصله من تيمكيدشت أخذ عن سيدي الحسن بن احمد ثم اتصل بقبيلة (إيسافن) يعلم بعض أبناء الرؤساء هناك، ثم شب الذي علمه فكان شغل لم يراع فيه المتعلم حق المعلم، فأدى ذلك الاستاذ الى ان جرح تلميذه بخنجر، وكان الاستاذ شديد الشكيمة، فقمص من هناك ناجيا برأس طمرة ولجام [1] وقد اتخذ الليل جملا، فأردف وراءه ولده هذا الذي يحكي لنا على بغلته، فالتحق بالفقيه سيدي الحسين نيت بيهي المتوكي، وقد كان يعرفه حين كانا ياخذان معا من تيمكيدشت، ثم تطلب القائد عبد المالك من سيدي الحسين فقيها يصاحبه فذكره سيدي الحسين، غير انه وسمه بالشدة وبمراقبة ربه، فلا يقدر ان يتحمل

---

1) ماخوذ من قول حسان في الحارث بن هشام حين فر يوم بدر.

ان كنت كاذبة التي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ... فنجا برأس طمرة ولجام

مظلمة. فقال له القائد. لا عليه فليضع كل شيء على عنقي، وبذلك اتصل ببوابوض حيث ربض كثيرا، وكان القائد يراعيه. وقد حكى هذا ما كان يقوم به مع طلبة متوكة في أيام النزه، حتى ذكر أن كبارهم وهم نحو مائة انفقوا مرة ان يقتسموا وحدهم ما جمعه الطلبة، ثم شرطوا شرطا لا يتوفر إلا فيهم. فاقتسموه فتفرق الطلبة يوم اختتام النزهة، فاجتمع المحرومون وهم مئات في (بووابوض) فأعلنوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على عادة الناصريين، فخرج القائد، فشكوا عليه فبث الاعوان يسترجعون الطلبة الظالمين من الطريق مرغمين ومن تأبى منهم أشبعوه ضربا، ثم قال لهم القائد لما ذا ظلمتم هؤلاء؟ فبادر طالب من اولئك الظلمة، فقال أيها الطلبة، ادعوا للقائد ان ييسر الله له عن قريب قبيلة (إفروكن) فأذعن القائد لدعاء الطلبة وانشرح وانفش غضبه، وقد كان يقدر قدر دعائهم دائما، ثم قيل له أد من عندك أيها القائد للمظلومين منهم ما يريدون فأدى راضيا، قال الحاكي فقال والدي ان ولدي هذا من أكابر الظلمة، ولا يستحق الا الجلد. ثم يسر الله للقائد تلك القبيلة عن قرب، وفي حسن الظن سر عجيب، ثم ذكر ان والده أوى الى قرية إزاء القاهرة (إيمينتانوت) الى ان توفي 1344 هـ.

وفي ذلك اليوم قال لي بعضهم ألم تر صاحبك احمد البياز المراكشي في أكادير، فقلت له إنني استحي ان اشمت بإنسان في حال مصابه، على انه لو تصادفنا لا يرى مني إلا خيرا، فإنني ان لفظه خاطري فما ذلك لشيء أتحققه في جانبي منه، فإنما هو آلة مامورة، أو متطلع الى ما لا يدركه أمثاله من المتبصبصين إلا بالتجسس والاختلاق، وانا اعذره من هذه الناحية، بل واسامحه، الا انه مشنوء بما يلاقيه منه الضعفة والايتام والايامى الذين يصنع بهم ما يصنع، وقد تحجر قلبه تحجرا غريبا، وقد كنت اعرف له قبل ان أتعرف به وجها لوجه سوأة لعلها تسود صفحة حياته ما حيي، ان لم يغفر له ربه، فإنه اتخذ دارا في الاستخفاء يسرب اليها الابكار التى يلتقطها من الازقة نحيفة من الجوع. فلا يزال بهن حتى يسمن ويجملن فيقدمهن لرئيس البلدية (كوجي) وقد كان هذا اليهودي

الشنيع مولعا بتلك اللذة، فيستمتع بكل واحدة منهن في ليلة، والبياز يجمع له من هنا وهناك، وهو يبتذلهن، فكل من قضى وطره منها يرسلها الى حال سبيلها وهذا ديدنهما دائما، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، وكان البياز ممن لا غيرة إسلام تروج في قلبه، ولا علو همة تدور في نفسه، وأي مومن يعرف منه هذا ثم ينظر اليه بعين الرضى ؟

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وإيمان

يهودي نذل تقدم اليه البنات المسلمات ، اللهم ان هذا ظلم فادح ، وشناعة ما مثلها شناعة ، ثم ما ذلك كله الا في مقابلة البقاء في الرياسة ، فتبا لرئاسة لا تؤسس على مروءة وعلو همة ، ومحافظة على السمعة ، ومن لم يذده دين عن مثل هذه النذالة، فليذده عرضه ومروءته ، اللهم لا تبتلنا بسقوط الهمم، وبالولوع بهتك الحرم ، وبثلب الاعراض .

والادهى والامر ما كان ارتكبه مما يقر به كل مراكشي كيفما كانت رتبته ، فلم يغادر هناك انسانا واحدا يبكي على نفيه حتى أخوه عبد السلام فإنه لاقى منه ما لاقى. فبأمثال هذه الامور نجد كل الناس لا يذكرون الرجل الا باللعنة ، نعوذ بالله من اتفاق الناس على إعلان مثل ذلك ، وألسنة الخلق، اقلام الحق. على انني لا اذكر حوله كل هذا كلما جرى ذكره حتى في أكادير فإنني لا اذكر عنه مثل هذا مما اعرف منه كثيرا، بل ربما اذكر ما يتظاهر به من صلاة في سيدي ابن سليمان الجزولي وصيام لايام معلومة في النافلة . إلا ان آل أكادير لا يكاد احدهم يذكره إلا لعنه قبل ان يلعن ابليس، نعوذ بالله من المقت . وقد كان منفيا الى آسفي، فسمعت انه كان تشكى مما يلاقيه من الاسفيين من الاستعاذة منه، ومن البصاق عليه، فلم يمكن ان يحيا هناك ، فخيرته الحكومة بين أكادير وبين مكان آخر أظنه وجدة، ثم أمرته بالنقلة الى أكادير، حيث يلزم قعر بيته لا يكاد يخرج لانه سجين مساويه، لان المظالم التي كان يصبها على العباد، أحاطت به من كل جهة، فلا يكاد يخرج حتى يؤتى اليه ان كل الذين يمرون به يفرغون عليه سجالا من اللعنات أو يصبون عليه

شآبيب الدعوات لايطرد من رحمة الله، وقد اختلف الناس فى سبب نفيه، مع أنه ما كان يفعل كل ما يفعل مما تمجه الانسانية الا ليبقى مخلداً فى مركزه، فقيل انه قال لانسان متمول، إنني مامور بأن افتش دارك، واستعرض ماليتك، قد افضى اليه بذلك سراً كأنه ينصحه، ولكنك ان اردت رتق هذا الفتق فسأتوسط لك عند الباشا وهات اثنى عشر ألف ريال، ولعل الباشا يقبلها، فنسد بها الثلمة. فأخذها منه، فأتى الى الباشا بنحو سدسها كهدية من ذلك الانسان، واسترط الباقى، ثم بسبب ما، انجلت القضية فكانت هي السبب، وقيل انه كان ادخر فى أهراء تحت الارض سكرا وأنايا وشمعا وكتانا فيها الوف القناطر، ثم ضرب عبدا من عبيده ممن اطلعوا على ذلك فوشى به، وادخار مثل ذلك فى اليوم ممنوع، ولكن القول الذي ترجح اخيرا هو ان السلطان نصره الله وأعلى شأنه، ارسل بعض اصحابه لشراء ملك ممتاز فى ضواحى الحمراء، فرجع اليه بخفي حنين، متشكيا بأن البباز ينقض كل ما ابرمه، مع ارباب الملك لطمعه فيه، فاستشاط السلطان غيظا، فهو الذي املى كلمته العليا على نفيه بعد ما دافع الباشا عنه دفاعا مجيدا لم يغن فتيلا، ثم لما نفي نادت الحكومة في الناس ان يقيد كل واحد ما كان ظلمه فيه كيفما كان، فلم يبق كبير ولا صغير الا سود صحيفة من صحائفه بما قنصه منه وحده، ثم عقل كل ماله وأحصي إحصاء تاما، ولا يزال الامر على ذلك الى الان، وسيظهر في المستقبل كل ما ارتكبه ظهورا بينا، أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟ كما انه ايضا وقع على امة اشتريت للسلطان على يده بوساطة الباشا فصح ذلك عليه، فنقم عليه نقمة ما فوقها نقمة، هذا الرجل الذي صدر منه كل هذا بلا حياء ما سببه الا لانه نابت من سفلة الناس، فقد كان يسوق الحمير من جامع الفنا لمن اشترى حملا منه، فيصاحب الحمار الى ان يحط عنه في دار المشتري مقابل قرش، ثم اتصل بالحاج التهامي فصار عونا صغيرا ثم كبيرا الى ان عينه في البلدية، فبقى هناك الى ان عزلته الحكومة اليوم، بعد ما كان ذاق العزل اولا من خلافة الباشا الرسمية على المدينة، وقد صفعه الشاعر بن ابراهيم شاعر الحمراء يومذاك بقوله اثناء قصيدة زائية وقد كانوا ابقوا له اسم الخليفة

الشرفي بعد أن عزل .

منحوك إذ عزلوك وسم خليفـة   لقد أبـدلوك حقيقـة بمجاز

قالوا عزلت فقلت ذاك عن رضا   هذا الرضى لغز من الالـغـاز

ولهذا الشاعر حسنات يرجى له بها المغفرة والزلفى عند ربه، لانه مولع بقرض البياز في عنفوان أمره غير هياب ولا وجل، ثم لا يقدر أن يمسه بسوء من أجل انحياشه الى الباشا. وله فيه قصائد يتداولها المراكشيون' واذكر انه حين زارني في محلي يوم توجه الى الحج في ذي القعدة 1355 هـ كان مما ذكره لي، لا تأمنن الكلب العقور البياز، فانه لا يولع إلا بنهش الافاضـل ، فقلت لـه مباسطا أحقاً لا يولع إلا بهم؟ مع أننا رأيناه لا ينجي أحداً ، فقال استغفر الله بل هو مولع بكل أحد، لا يحيا إلا بضرار الناس كلهم كيفما كانوا، فقلت إذن هو كما قال بعض المتعاشقين الذين لا يفرقون بين مليح وقبيح وهو ابن المعتز .

قلبي وثاب الى ذا وذا   ليس يرى شيئا فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي   ويرحم القبح فيهـواه

فقال الاديب الروداني سيدي محمد بن عبد الله أخرباش، هيهات ان تدور رحمة في قلب البياز ان كانت تدور في قلب هذا المتعاشق، هكذا دار الحديث، وليت شعري الا يزال الاديبان يتذكران هذا ؟ فان هذا آخر يوم رأيت فيه شاعر الحمرا' ، فمتى ألقاه أيضا ياربّاه ؟

اعلم ان البخاري قيل له لم تذكر بعض الناس في تاريخك بما يسوءهم لو سمعوه، أو ليس هذا غيبة ؟ فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بيس أخو العشيرة في أحد رؤساء الاعراب، وهذا من الدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة ، وهذا الذي قاله البخاري في كلام أطول من هذا، لا ينبغي ان يسلك مثله إلا في الغيرة عن الدين، وفي الذب عن حرمة المسلمين ، فاذا كان المجاهر لا يردع في التاريخ بالرد عليه فما فائدة التاريخ إذن؟ فلعل أحد الرؤساء يرى هذا فيتعظ به فيئزجر. وفى الحديث لا غيبة فى فاسق، ورحم الله من قال فى الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبيس ما كانوا يفعلون .

ذهب الذين يعاش في أكنافهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم بعضا ويدفع معور عن معور

هذا والمقصود أن ننبه على الحق الذي نعلمه في جانب هذا الانسان، وإلا فإنه إذا أصلح ما بينه وبين ربه وتاب فان الله يقبل التوبة ورحمة الله أوسع مما يظنه الناس. ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.

كان البياز يلازم كثيرا من دروسي في البخاري في مسجد الكتبية، فلنحافظ له نحن على هذا، ولندع له بأن يسامحه الله ويقضي عنه التبعات بفضله ورحمته فإن كان هو انما يحضر مع طلبة الحديث لعله يقع على ما يسود به صفحة من سجلات الاستعلامات، فان الطلبة واستاذهم لا يرمون الى ذلك، ولعل هذا الدعاء يستجاب بفضل الله. فأهل العلم أهل ذكر الله، الذين قيل فيهم اولئك قوم لا يشقى جليسهم. فاللهم ارحمنا وارحم البياز إن تاب، وارحم جميع المذنبين بفضلك (1).

ثم ان «إنزكان» صار اليوم مدينة صغيرة مخططة الشوارع، والمراقبة في دار القائد محمد بن الحاج الحسن الكسيمي الشهير، لا يزال سورها الخارجي على ما هو عليه إلا بعض أبواب حدثت في جوانبه، وأما داخلها فقد حدثت فيه إصلاحات تليق بالادارات، وتقام سوق الجمعة في (إنزكان) من قديم قبل ان تصير مدينة بعد 1344 هـ وأما (تالبرجت) فانها مخططة تخطيطا حسنا من 1334 هـ فيها بناء حضري بهيج، على صفيحة البحر الخضراء، وموقعها من اجمل المواقع، صحي جميل، وقد اتصلت بـ (فونتي) ببناء في حجر الجبل وفي كلتا (تالبرجت) و (فونتي) جامع تقام فيه الجمعة، وجامع (فونتي) قديم، وأما جامع (تالبرجت) فحديث وما بني الا نحو 1350 هـ على هيكل حضري، جميل جذاب، كما ان جامع (أكادير) من أعلى قمة الجبل. لا تزال الجمعة القديمة تقام فيه منذ بناه محمد

1) تقلب الزمان بالبياز فرجع من منفاه ذاك فاشتغل بأراضيه الواسعة بشغف ونعم الى ان جاء الاستقلال وجاء دور المحاسبة، فدار الدولاب دورته على البياز وأمثاله فالله يحسن عاقبتنا.

الشيخ، وان كانت العمارة تقل هناك اليوم شيئا فشيئا ، وقد سكن الان هناك عالم حسن يذكر، يسمى الحاج احمد بن مبارك الهشتوكي من (أوتينهمو) كبير السن، علمه جم، ولم تتيسر زيارته. وقد قيل لي أنه ملازم مقعده، ثم بلغتنا وفاته بعد حين .

وهناك قرية كبرى للعملة تسمى (إيحشاش) فيها خلق كثير تجاور (تالبرجت) كما ان حوالي قرية (بنسيركاو) يحدث بناء كثير لعله يملا ما بين (إنزكان) و (تالبرجت) في المستقبل .

وهذه القرى الكبرى متى اتصل بناؤ الجميع فستتكون من ذلك مدينة عظيمة (1)

وسيدي أبو القناديل المدفون في فونتي قديم، يقول الدغوغيون الوجانيون انه منهم، وقد رأيت ظهائر تتعلق بأولاده، ويزعم الركراكيون أنه منهم والله أعلم،

وقد رزنا في مقبرة الدشيرة ضريح سيدة تسمى (تعزى) لعلها قريبة العهد يالف أهل تلك الجهة ان يطرقها الحجاج عقب تهيئهم للحج، وعندها دفن الحاج العربي الرئيس مع ولده عبد الرحمن، وأما الرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن فانه فى صحن الزاوية الدرقاوية إزاء مدرسة (الدشيرة) فقد زرنا قبره وقبر الفقيه سيدي علي السباعي رحمهما الله وسامح للجميع، وترجمتاهما توجدان في (المعسول) ان شاء الله.

ركبنا في السيارة التي تقصد تزنيت عند قهوة الحاج (والحاج هذا اعرفه رجل خلاسي كان هناك ينوب عن شركة سانيام في تفتيش سيارات الشركة وقد مات منذ سنوات قليلة) فودعنا أهل (إنزكان) كسيدي الحسين بن عبدالله وغيره والاخ الحبيب ، فمررنا بأرض هشتوكة التي الغيت زيارتها هذه المرة ، فمررنا بدار الدليمي ثم (توبوزار) وفيها دار مخزنية قديمة ، فكنت امر في ذاكرتي بالوقائع الهائلة الواقعة فى هذا البسيط كوقعة أبي حفص الموحدي

---

1) وأسفاه على (اكادير) و (فونتي) و (تالبرجت) و (إيحشاش) فقد هدها الزلزال ليلة 3 رمضان 1379 هـ فهلك فيها زهاء عشرين الفا، حتى ان هذه الاربع لا تصلح بعد للسكنى. والبقاء لله .

مع المتمهدي السلاوي الواقعة في نيف وأربعين وخمسمائة ، وكوقيعة اخرى مثلها في أيام المرينيين ، وأخرى مثلها بين المولى الرشيد وآل ايليغ 1081 هـ. واخرى بين المولى سرور وبين محمد المكاوي سنة 1169 هـ والمكاوي هذا طرأ الى سوس فادعى المهدوية، وأظهر أمورا خارقة للعادة، فغر البعمرانيين والاخصاص ومجاط وآل أزغار فبايعوه ، فزحف بهم نحو هشتوكة ، فلاقاه المولى سرور - كما ذكر لي - وقد كان خليفة السلطان في ردانة ، ومعه الهشتوكيون ، فدارت الحرب فأصيب المكاوي في رأسه برصاصة فانهزم به اصحابه ، فمات في ايت جرار ولا يزال قبره معروفا هناك في (إيدغ) ' ويوم وفاته هو 5 محرم 1169، وهذا الثائر هو الذي كان الحضيكي كما ذكره الجشتيمي التحق به مغترا، ثم لما تبين له منه هتك السنة فارقه، فنجا مما أصاب الفقهاء من نهب بغالهم ومتاعهم، وهو الذي كتب اليه سيدي محمد بن مبارك المحجوبي رسالته المعروفة، ووقع أيضا في هذا البسيط الهشتوكي واقعة (تابو حنايكت) حين التهمت القبائل جنود الحكومة التي تحت رئاسة ابن يطو سنة 1313 هـ. ثم واقعة (توبوزار) يوم انهزم سيدي محمد بن الحسين الايليغي أمام الكيلولي، كل هذا يمر بذاكرتي فلم ينبهني إلا اصطدام سيارتنا واخرى مرت بها، فتحككت بجانبها حتى اندقت منارة من منارتي سيارتنا، مع اهتزاز شديد، فسلم الله فوقها السائق' فصار يدير عينيه في الراكبين يستشهدهم على الذي فعل به ما فعل، فأبى جميع من فيها ان يشهدوا، فيتناجون بينهم اننا نعلم أن الشهادة لله، ولكننا كلنا نعلم ما يترتب على أمثال هذه الشهادات من هبوط ونزول من محكمة واليها فيبقى الشاهد بلا شغل، وربما يتوقف على أن تؤدي الشهادة في خارج البلدة التي تسكنها فتسافر مرغما، والنفقة عليك ولا يبالى بأي عذر منك' وقد تطلب من مجلس الاستئناف في الرباط، فما عليك إلا ان تذهب الى هناك، ولاتسأل عن المصاريف التي لا تاخذ منها شيئا [1] مع تضييع أشغالك، وقال بعضهم وهو آسفي يقطن في تزنيت يتجر في البيض، ليستشهدوا هؤلاء الاجانب الراكبين معنا - فإن

1) ان القانون يقضي بأن النفقة على المشهود له ولكن دون ذلك خرط القتاد.

فيهم - وهم جماعة - كفاية، فإنهم متى سافروا يؤدى لهم ما أنفقوا، بل يكتفي بما يقولونه في مراقباتهم ولا يسافرون. أفنحن ندخل فى هذا المضيق؟ أقول: من هنا يعرف جانب مما يقاسيه اليوم الاهالي من كل جانب، حتى ليهربون مما هو واجب عليهم في دينهم كالشهادة هذه، فانهم مأمورون شرعاً بأدائها، قال تعلى: وأقيموا الشهادة لله، ولكن الله قال ايضا: ولا يضار كاتب ولا شهيد، ومتى كان الضرر فان ذلك مما يبيح النكوص، والضرورات تبيح المحظورات ، فوا اسفا على ما يلاقي الاحرار فى بلادهم من هذا الاستعمار الغاشم، نزلنا أمام قرية المعدر فأدينا فريضة العصر. والشمس على أطراف النخيل، فتلقانا الكريم الاريحي الذي ينتظرنا، سيدي الناجم بكلتا اليدين فقلت له إنني اليوم لا اضيف إلا بالاستراحة، فلم نكد نؤدي العشاء حتى تمددت فى سرير وثير الفراش، فسلمت الروح الواعية لخالقها، ولا يكرم الضيف المعيي بمثل تركه والاستراحة والانفراد حتى يسترجع نشاطه .

الخميس 13

بكر الينا العلامة البحاثة الفقيه النحوي اللغوي ، صوفي العلماء، وعالم الصوفية ، ابو الحسن سيدي علي بن الطاهر المحجوبي الرسموكي من خيرة ساداتنا علماء سوس اليوم تحصيلا ، ومتانة أخلاق، وثقوب فهم، وحدة ذكاء مع تواضع ورثه عن آله الصوفية الابرار ، ومع مخالقة صافية خالية من المراءاة والمداجاة ، وهو من إخواني في الله ، وممن انتفعت بهم كثيرا ، وقد كان مضيفنا ارسل اليه ليلا ، فاكتست رحلتي هذه بالاتصال به حلة اخرى علمية ، فنشرنا من المباحث العلمية ما لايمكن ان ينشر أمام كل متمعلم لا يعلم اين يأتي المبحث حتى اذا اراد ان يمد يده اليه مد رجله ، واذا اراد ان يسال يتهم في سؤاله، مع ان الغرض من سؤاله ان ينجد من الذين قيل فيهم الله ساء سمعا فساء جابة ، وممن قيل فيهم ايضا :

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى   وكيف يكون النوك الا كذلكا

وممن قال فيهم أيضا :

اقول له عمرا فيسمع خالدا ويكتبه بكرا ويقرأه زيدا

اما العلامة ابن طاهر هذا فهو الجذيل المحكك ، والعذيق المرجب ، خريت فهامة نقاب ممن (يضع الهناء مواضع النقب)[1] يطيل حسن الاستماع اذا حدث، ويرتب اطراف الحديث كما يقتضيه المقام اذ حدث، يعلم بسرعة مواقع الاشكالات من المباحث العويصة ، ثم يتريث حتى يرى المحز فاذا بفيصله يصيب المحز مرة واحدة ، ثم سرعان ما ينجاب الاشكال ، مع دين متين ، وعقل حصيف ولسان مزموم عن الاعراض ، مع أنه ذو نظرة تستشف الخفايا وتدرك الخبايا

الالمعي الذي يظن بك الظـــن كان قد رأى وقد سمعا

وله استحضار كبير في العربية نحوا ولغة وبيانا وتصريفا ، وفي الحديث والسيرة والتفسير والتاريخ وأيام الناس ، هذا هو السيد الذي اجتمعت به في المعدر ، كاقتراح مني ، لمعرفتي بأننا نجد من الخلوة هناك مالا نجده في غيره فكان الحال كذلك ، فأكببنا على المحاضرة، وعلى تقييد كل ما سنح وهو الوحيد، الذي رأيته أيضا حريصا على ان يقيد عني كما أقيد عنه ، فلم يسمع ما لا يعرفه إلا أودعه مذكرته، وأما كثيرون غيره فإذا جالستهم فإنني وحدي هو المعتني بالتقييد، وهو مائل كأنه اكتفى من الاستزادة، وقصارى المنصفين من بعض من لقيتهم ان يتعجب من كثرة الاعتناء الذي يراه مني، فلا تعرض شاذة ولا فاذة إلا التقطتها بيراعي ويقول: أحياك الله كما أحييت همة ماتت في بني هذا العصر، يقولون ذلك، وأنا أقول في نفسي: إنني أعد نفسي تلميذا يتلقى دروسا عن

---

1) شطر بيت أوله ، متبديا تبدو محاسنه .

والهنا' بالكسر : القطران ، والنقب بالضم : ما نقبه الجرب من الجلد . وهذا البيت من قصيدة لدريد بن الصمة ، يصف الخنسا' وقد رآها تضع القطران على انقاب جمال جربي وأما المثل المتقدم فالجذيل : تصغير جذل بالكسر . اصل الشجرة ينصب للجمال تحتك به في حظائرها . والعذيق : تصغير العذق : وهو النخلة ، وترجيبها : تحويطها بحجارة لحفظها، مثل يضرب لمجرب الامور الذي مرت به مصائب فاستفاد منها ، حتى أن له رايا يستشفى به. وهو مثل مشهور قاله الحباب ابن منذر في يوم السقيفة .

الاساتذة، فيحفظ كل ما سنح عنهم، ومتى تجاوزت رتبة التلميذ بعد ؟

قيدت عن الاستاذ ترجمته وتراجم آله كل علماء المحجوب، كما قيدت عن رفيقه سيدي محمد بن محمد بن عبد الله التادارتي ما كنت اجهله من بقية علماء (تادارت) الادوزيين ومن أخبار آخرين فى تلك الناحية، وهذا السيد من المجالسين الطيبين، لديه في العلوم يد حسنة، وله إطلاع على اخبار الناس كثيرا، ولا أدمنى الا ان انفرد وإياه أياما، فأقيد عنه كل ما عنده، ولعل ذلك يتيسر ان شاء الله، وكل هذا يكون فى موضعه فى (المعسول) ان شاء الله.

وقد صاحب الاستاذ ابن الطاهر معه كتابين مخطوطين، تصفحت إحدهما فوجدت فيه :

أ) مختصر (حسن المحاضرة) للعلامة إيبورك بن عبد الله بن يعقوب، بخط حسن في 52 صفحة [1] وخطه مدمج، وفى الصفحة 31 سطرا، والاصل كما هو معلوم للسيوطي، اختصره في نحو ثلثه كتبه محمد بن عبد الله بن احمد العباسي السملالى، للفقيه محمد بن المبارك بن احمد فى 28 ـ 7 ـ 1136 ه قال المؤلف فى أوله : وبعد يقول العبد الفقير المفتقر لربه اللطيف إيبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي: لما وقفت على كتاب عجيب للوذعى الحافظ جلال الدين سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ كمال الدين أبى بكر السيوطى الشافعى، وهو كتابه المسمى (حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة) تجددت لي نية اختصار ما تأكدت الحاجة الى الوقوف عليه من فوائده تقريبا لافهام الطالبين، وتذكيرا لامثالى من المقصرين بحذف نحو سنده قصدا لاختصاره بما امكن على تراجمه وعبارته إلا فيما لا بد من تحويله الخ

وقال اخيره : وقد لفقت من كتابه رحمه الله تعالى اكثر فوائده في اختصار عجيب، مشتمل على ما يسر الواقف عليه عند وقوفه عليه، وعلى ما يحمله على كسب الاصل والبحث عنه في استجماع جميع غرائبه، وتعريف علمائه من الصحابة والتابعين، وكثير من جملة ملوك الدنيا الصالحة والطالحة

1) الصفحة الوجه كما ان الصحيفة الورقة بوجهيها.

وعلمائها الزاهرة ، ورسلها الباهرة ، فالله نسأل ان ينفعنا بالجميع الى آخر كلام قليل في الدعا". والنسخة مصونة بينة لا خرم فيها من الطابع المستطيل.

ب) مؤلف لمحمد بن يوسف السنوسي في شرح التسبيح دبر الصلوات ذكر في أوله حديث مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر ، فتكلم على هذا الحديث وعلى ما يوخذ منه من اللطائف على عادة أهل الكلام ، لا على قاعدة المحدثين ، وربما مزج بينهما وهو في ثلاثة أوجه في ذلك القالب ،

ج) اجوبة للشيخ الفقيه حسين بن ابراهيم الجزولي عن أسئلة حول زيارة القبور وكيفيتها ، وعن محل ارواح الموتى وما معنى الموت ؟ وهل يعرف الميت من زاره؟ وهل يجوز أخذ تراب من قبر تبركاً به؟ وكيف يدعى (1) ولد الزنى. وما الحكمة فيما ورد ان الناس يدعون بأمهاتهم يوم القيامة ، وهل يلزم دفع شيء لقبور الصالحين؟ وهل يلزم نذر قبر معين؟ وهل يجوز الاجتماع في موضع معين على الذكر والتلاوة؟ وهل يجوز التوسل بالصحابة والاولياء وان بعد موتهم؟ وما سبب اشتهار علماء الظاهر فى حياتهم، والاولياء بعد مماتهم ؟ هذه الاسئلة هي التى اجيب عنها بهذا المؤلف، ولا أعرف الان من هو حسين هذا من الجزوليين؟ وقد نقل فى الكتاب عن القرافي والبرنوسي والغزالي واليافعي وابراهيم بن هلال والبرزلي وابن المواز وابن عبد البر وعياض والزمخشري وابن لب والجزولي يعني عبد الرحمن الكرسيفي ثم الفاسي شارح الرسالة، ويستشهد أحيانا بالحديث، ومما أعجبني منه أنه قال: لا يمسح أحد القبر ولا يقبله ولا يمسه لان ذلك من عادة النصارى، وكذلك الاخذ من تراب الصالح فهو بدعة، فالتبرك فى الحقيقة باستعمال ما كانوا عليه من الاوصاف الدينية والامور الشرعية، وقد ذكر هناك ان ابن عمر وقف على قبر أخيه عاصم وأنشد :

---

1) يعني يوم القيامة، يعني الى من ينسب إليه ،

فإن تك أحزان وفائض عبرة ... جرين دما من داخل الجوف منقعا
تجرعتها في عاصم واحتسبتها ... بأعظم منه ما احتسى وتجرعا
فليت المنايا كن خلفن عاصماً ... فعشنا جميعاً أو ذهبن بنا معا
دفعنا بك الايام حتى إذا أتت ... تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

وقد ختم الكتاب بلامية في الطويل، توسل فيها بالصالحين من بينهم وكاك، وهي طويلة نحو ستين بيتاً، ولكنها غير محكمة النسج ، مما لا يتفتح له سمع الخليل بن احمد، وقال أخيراً : فهذه نبذة مما اشرتم أيها الاخوان، وقليل مما إليه لوحتم، فإن قصرت فيما طلبتم أو وقفت دون ما رغبتم ، فاعذروا أخاكم، واكتفوا بما آتاكم، واقبلوا جهد المقل، واستغنوا بالطل عن الوبل، فإن الخاطر ناصب، والذهن خامد، ولكن ارجو ان شاء الله ان يصيب من القلوب قبولا ، ومن الخواطر النيرة ما تنتفع به، ويكون الى الرشاد سبيلا، الخ الى ان قال بعد قليل: حسين ابن ابراهيم المرابط لطف الله به، ثم لا يتوهمن ان حسينا هذا هو حسين الشوشاوي المتوفى في آخر القرن التاسع ، لانه ابن علي بن ابراهيم ، وكذلك ليس بحسين الشرحبيلي لانه ابن محمد لا ابن ابراهيم، ولولا ذكره لوكاك ولولا أنه يلوح من أثناء كلامه فى مؤلفه أنه من أهل البادية السوسية ممن ينتمون الى الزوايا، لما ظننت أنه سوسي، لكنني الان متوقف والله أعلم. والكتاب فى 15 صفحة .

د) ورقتان من شرح التلقين ليحيا الكرامي فى مسألة من البيع وفي غيرها ينقل عنه بقوله: منه ومنه، ثلاث صفحات ونصف

ه) أجوبة للفقيه عبد الوهاب بن احمد الزرقاني لاسئلة القاضي سعيد الهوزالي، فيها الكلام على مسألة من الطلاق بلفظ الشلحة، وفى الفصل اليسير من أعضاء الوضوء ، تكلم فيه على استصحاب النية من أول الوضوء الى آخره، وعن صلاة الجنازة وسجود التلاوة بعد العصر وقبل الاصفرار، وبعد الصبح قبل الاسفار، وعن صلاة الجمعة في الجامع الذي لم يتصل بناؤه بالقرية ، وعن بيع الثنيا، وعن الطلاق بلفظ التسييب. وعن استشكال فى قول المختصر، وفى كإحرام زيد تردد،

وعن توهم معارضة بين قولي خليل: ان خلا عن كشرط بقاء المسلم فى الجهاد ، وقوله لا أحرار مسلمون قدموا بهم الخ، وعن ذكاة المرأة، وكراهة ذكاة الخنثى، وعمن خلقت وأسفلها واحدة برجلين فقط وأعلاها تنتان ببطنين ورأسين وأربع أيد، كيف تكون فريضتها ألواحدة أم لاثنتين، وعن أشكال فى خيار التروي، وعما توهم من تكرار مرارة مباح فى المختصر مع قوله فيه ، وما ذكي وجزؤه إلا محرم الاكل. وعن استشكال تفريق النية على الاعضاء فى الوضوء، وعن مسألة كيف يتصور الايلاء فى قوله ان لم أطلك فأنت طالق، هذه الاسئلة التي اجيب عنها فى ست صفحات ونصف .

و) أسئلة وأجوبة فى صفحتين فقهية فى صحيفتين ونصف موقعة بأسماء عبد الله بن يعقوب، وعلي بن عبد الله بن احمد السملالي، وعبد الله بن محمد ابن احمد ،ويوسف بن يعزى بن داوود، ومحمد بن سعيد، هؤلاء وقعوا فتوى أولها، ثم تتابعت فوائد فقهية غير موقعة بأحد، وهؤلاء كلهم معروفون عندنا ، فعبد الله بن يعقوب دفين (تازموت) المتوفى 1052 هـ وعلي بن عبد الله السملالي المتوفى فى ذلك القرن نفسه .

ز) أجوبة فقهية اخرى للقورى، كما عنونت به فى 16 صفحة لعلها في أحد المعيارين .

ح) ست صفحات من كتاب عظيم فى تاريخ المغرب، لم توجد فيه نسخة تامة اليوم الا وهو (مناهل الصفا، فى أخبار الائمة الشرفاء ، أسباط المصطفى) فيها عناوين ثلاثة :

أولها (ذكر ملحمة لكناوة وسياق أخبارها) تحته نحو نصف صفحة .

وثانيها (ذكر وقعة تيرغليل، من بلاد درعة، واجلاب الامير زيدان بها على الشهم البهمة القائد أبي محمد مومن بن يحيا، تحته خمس صفحات.

وزيدان المذكور هو ابن احمد الاعرج، وهو الذي رشحه عمه لمحاربة محمد الشيخ ، أبوه احمد الاعرج الذي يذكر المواقعة معه هذه الصحيفات.

وثالثها (ذكر وقعة مسكروظا ، وهو أمسكروض المشهور اليوم فوق هوارة

وتقبيض الامام أبي عبد الله محمد الشيخ على أخيه الامام أبي العباس وولده والامتنان عليهما) وفي هذه الكلمة نفسها انقطع الكلام في هذا الموجود، قلنا ان هذا الكتاب عظيم جداً في تاريخ المغرب في العصر السعدي، والكتاب كبير ذكر المقري أن عهده بمؤلفه عبد العزيز الفشتالي أتم منه ثمانية أجزاء ، ولا يدري كم زاد فيه مؤلفه بعد ذلك، والكتاب كان موجودا الى الايام الاخيرة ، ويظهر ان الناصري صاحب الاستقصا لم يره وإلا لنقل عنه مباشرة، وصحح لنا البحاثة ابن علي السلوي أن نسخة منه كانت عند احمد بن موسى الوزير المتوفي 1317 هـ ، ثم ها نحن اولاء اليوم نفقده، كما يفقده كل الباحثين سواء المغاربة والمستشرقون، إلا ما كان من كراريس منه فيقال انها موجودة في مجموع بتطوان عند بعض الاهالي، سمعت ذلك من عند الاخ التطواني ذكره الله بخير .

وقد اشتد البحث كثيرا حول الكتاب، فكوتب حوله الى الجوانب المغربية، ومنذ نحو سنة كتب الى الفقيه سيدي المدني ابن العم يسألني عنه ، فأجبته بما عندي حوله ، وما بحثه عنه الا أنه كاتبه مكاتب من الحواضر في البحث عن الكتاب ، كما سألني عنه آخر من أكلو - وهو الفقيه صاحب المكتبة المشهورة هناك - فقلت له أوصلك أيضا ذيل من ذيول البحث عنه ، فقال : نعم ثم ادليت له بما عندي ، فقال ان الكتاب موجود عند انسان في جبل درن ، وقد داخلته في شرائه منه ، ولما انجح الى الان ، هذا ما قال ولا ادري مقدار ذلك من صحة ، وإنما شككت في قوله ، لانني اراه لا يعرف من الكتب الا حجبها عن مستحقيها - لا التسابق في ابرازها الى الوجود ، كما يكون من يعرفها حق المعرفة .

ومن منح الجهال علما أضاعه   ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وللمذكور خزانة تذكر، يحرص هو وآباؤه على أن يستروها حتى على الهواء ، وقد حكى لي ثقة انها تناهز الف سفر - غالبها مخطوط ، ولا بد أن يكون بينها كتاب قيم نادر على الاقل في اي فن من فنون العلوم التي تروج. وقد كان العراقي قيم خزانة القرويين سافر على نية زيارة هذه الخزانة مع

البحاثة السيد علوش المستشرق فتزودا بتوصية رسمية ، فصاحبهما القاضي بتزنيت سيدي محمد اعمو فطرقوا صاحبها السيد الطبيب، فعرضت امامهم جملة قليلة مما هناك فوق حصير ، وقد كستها طبقات من الغبار المتكاثف ، وحين فتشوها لم يجدوا فيها الا الكتب المتداولة او المطبوعة ، وهكذا رجعا بخفى حنين ، وقد لقيت السيد علوش فصار يستهزيء بخزائن سوس قال، تسمع جعجعة ولا ترى طحنا ، ونسمع بالمعيدي خير من ان تراه ، فوقع علي كلامه صخرا ثقيلا، ولكن ما يعمل؟ على ان الواجب على السوسيين ان يحرصوا على ذخائرهم حقا، حتى تظهر على أيدي السوسيين وامثالهم من المغاربة الذين يقدرون قدر الناس.

(انعطاف) ان كتاب «مناهل الصفا» لا احسبه يضيع بهذه السرعة، فلا بد ان يظهر كله من البوادي او من بعض خزائن الحواضر التي لا يزال الجهل يكتنفها ، فما انس لا انس قضية «الذخيرة» لابن بسام ، فانني كنت مرة في البيضاء فذهبت لاركب من شركة (زكار) فصادفت تطوانيا[1] شابا لا أعرفه الى الان ، فسرعان ما جرى الكلام بيننا عن عمد منه ، حتى وقع في الباشا الحاج التهامي، فصار يسبه ويسب مراكش، وكل اهل الجنوب فأخذتني حمية أخفيتها بلباقة . فراودته حتى عرفت منه ان سبب ثورته على باشا مراكش ، هو أنه اتاه بأعظم كتاب في التاريخ الاندلسي يعرضه للبيع ، فإذا بالباشا على زعمه يماكسه فيه جهلا منه بقيمة الكتب ، فقلت له ما هذا الكتاب الذي كان أعظم كتاب في التاريخ الاندلسي ؟ فصار يعمي عني اسمه ، كأنه يحسب انه لايعرف الاندلس ولا أخباره ولا الكتب المؤرخة في اخباره الا التطوانيون الكرام ، فصرت الاطفه وهو يقول انه كتاب ما طرق اذن مراكشي قبل اليوم، فامتعضت لمراكش وكيف لا امتعض لها ، ومنها نبتت قوادمي وخوافي ، فتدفقت اسرد الكتب النادرة التي استحضرها عن الاندلس، ولم أعرج على مثل (نفح الطيب) بل ذكرت (المسهب) و (المغرب) حتى ذكرت (الذخيرة) فجرى ابتسام بين شفتيه فقال أوتعرف الكتاب ؟ فقلت رأيت منه بعض اجزاء ، فعندنا في خزانة

1) هذا الشخص غير تطواني، وكان في عهد الحماية من الجواسيس، وهو الان فار من تطوان

القاضي سيدي عباس المراكشي بعضها، كما في خزائن غيره بعضها ولكن لم نسمع بنسخة تامة من الكتاب، إلا أنه يذكر من باب القيل والقال، انها توجد في تطوان، فقال وهو طافح استبشاراً: لقد صدقت فالنسخة هي التي أتيت بها، هكذا دار الحديث، ثم بعد قليل عرفت ان النسخة لم تتم، لا يزال ينقصها الجزء الرابع، ذكر لي ذلك أخونا البحاثة سيدي محمد بن أبي بكر التطواني حفظه الله، ثم رأيت الاجزاء الثلاثة في الخزانة العليا، وقد حازتها الخزانة على يد البحاثة السيد (ليفي بروفنصال) ثم علمت ان النسخة التطوانية كانت حبسا على زاوية، وإنما طاف بها طائف وأهلها نائمون، فطار بها ذلك الشاب المذكور فباعها، وخيراً صنع، لانها خرجت بسببه من العدم الى الوجود، واستمسح هنا إخواننا الورعين أو المتورعين عن تحبيذ مثل هذه السرقات، فإن كانت المصالح العامة تنزع الاراضي من أجلها شرعا، فلما ذا لا تنزع الكتب النفيسة القيمة من الذين حجبوها عن العالم، وتركوها بين حشرات الارضة تقرضها حتى تأتي عليها [1] ثم بعد أن عرفت أن نسخة الذخيرة غير تامة، صرت أبحث بدوري، فأخبرت بأن النصف الاخير من الكتاب في الجديدة، فسافرت اليها فإذا به عند أديب من أصحابنا الاعزاء، فطالعته فإذا هو من مكتبة (تامكروت) ثم قلت له ان هذا الجزء الاخير الذي عندك لا يوجد نظيره اليوم، وأنا سأفشي سره وكأني بالبحاثين قدموا اليك فلا تبعه رخيصا، وكان الامر كذلك أخبرت الاخ التطواني فأوصل الخبر الى (ليفي بروفنصال) البحاثة، فما عتم بعد ما سمع ذلك ان ركب الى الجديدة فيما سمعت، فتوصل بالكتاب، فتمت النسخة، فسافر هذا البحاثة الى مصر فأشهرها للعالم وقدمها للطبع، هذا علمي بذلك وأنا بمراكش، ثم فارقت ذلك العالم مختتم 1355 هـ وما حكيت هذه الحكاية إلا لنفي اليأس من وجود الكتاب (مناهل الصفا) فلعلنا نقع عليه يوما ما كاملا، أو يقع عليه غيرنا من البحاثين [2]

---

1) وحذار ان يوخذ بمثل هذا الكلام الخطابي فيسرق كتاب نفيس من صاحبه، فذلك لا تحله الخطابة وان اسهبت ما اسهبت.

2) ثم بعد هذا الرجاء، وجد جزء من الكتاب عند أخينا العلامة سيدي عبد الله كنون مما يتعلق بما بين 986 - 1006 هـ.

ط) ثماني صفحات فيها فتاو للجزوليين سملاليين وبعقيليين ورسموكيين كمحمد بن سعيد العباسي، وعلي بن يوسف بن عمرو البعقيلي، ومن اليهم ومن بعدهم بقليل، ولعل كل هذه الفتاوي توجد فى الفتاوي البرجية المشهورة التي جمعت فتاوي الجزوليين أهل الحادي عشر ونحو النصف من الثاني عشر.

ي) (النفحة المسكية فى السفارة التركية) لعلي بن محمد الجزولي الاصل ، الدرعي الوطن المتوفي 1003 ه وهو كتاب مشهور نسخه متداولة غير نادرة ، وعندي الان نسخة اخرى مثلها سوسية ايضا. وهذه التي نحن فى صدد وصفها، فيها 21 صفحة في ذلك القالب الذي وصفته قبل. وفى مؤخرها ما نصه : هنا انتهى بعض ما ذكره المؤلف واختصرته عن عجل وشغل بال ، وهو منه ثلثه اخذت من كل موضع شيئا ومن كل فن ما استظرفته، وختمته بما ختمه من آخره، والفراغ منه يوم الخميس التاسع من رمضان 1136 ه كتبه للفقيه سيدي المبارك بن احمد، عبد ربه محمد بن عبد الله بن احمد العباسي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين. أقول، من هنا يظهر ان النسخة إنما هي مختصر من الاصل كما ذكر، ولم يتيسر لي ان أقابل بين هذه النسخة المختصرة وبين النسخة الاخرى التامة، لاعرف كيف اختصرها المختصر، أيحذف من المقاصد أم يختصر من الكلام فيها، ومن الاشعار والحكم التي كان الكتاب يتدفق بها، والى هذا الكتاب ينتهي نسخ محمد بن عبد الله المذكور فى المجموع، فكل ما تقدم فبخط المذكور وبقالب واحد، وبمسطرة واحدة .

ك) نبذة كبيرة من الفتاوي البرجية، ويكون ما هنا نحو ربع مجموعها الاصلي الذي عرفناه في نسخ كثيرة متداولة كثيرا فى الصقع السوسي، وهذه النبذة بخط غير ما تقدم، وان كانت على قالبه .

هذا ما في هذا المجموع النفيس ، وهو المجموع الاول من المجاميع التي اتانا بها الاخ العلامة ابن الطاهر ، وهو الذي أتصفحه أول وهلة ، ثم غرقت معه في مباحث اخرى ، وتقييدات وأسئلة استفيد بها منه ما أجهل الى ان جمدت الفكرة فى الهاجرة ، فاخترنا ان نجم النفوس بنومة القيلولة ، فتمددت على

ناموسية فتناولت المجموع الثاني ، فلم انصفحه حتى وجدته انفس من صنوه، بل هو علق لا يقوم ، فثاب الي النشاط، وطار عني الوسن، والذي احتوى عليه:

أولا ـ اجازة كبرى للشيخ الحضيكي لتلاميذه الذين سماهم وهم : عبدالله ابن الحاج احمد التيزختي ، ومحمد بن محمد الوولتي الطاطائي ومحمد بن الحسين اليبوركي الاسغاركيسي ، وأبناء عمه محمد بن عمر، وعبد الرحمن بن عمر، وأحمد ابن محمد التاكموتي ، وعبد الله بن محمد التامكدلتي ، وأبو القاسم داوود الساموكني، وابن عمه الحسن بن احمد ، ومحمد بن عبد الرحمن الحربيلي ، واحمد بن احمد النيملي ، ويدير بن ابراهيم الصنهاجي الركني ، وأولها الحمد لله الكريم الوهاب العفو الغفار التواب ـ الخ. وهي في 34 صفحة فيها من السطور 26 ونحوها في قالب وسط ، وبخط واضح للمطالع وان لم يكن جميلا مما هو مألوف مثله في جزولة غالبا ، ومن قديم يقول الحاحيون ، العلم عند السوسيين، والخط عند الحاحيين، وذلك حقيقة في الغالب، وهذه الاجازة تتبع فيها أسانيد في الكتب المتداولة يذكرها واحدا واحدا .

ثانيا ـ ثلاث رسائل للمذكور ، بعضها في النصيحة ، وبعضها في تبيين حكم فقهي ، وفيها نحو ثلاث صفحات .

ثالثا ـ رسالة المسكدادي الشهيرة الى سعيد بن عبد النعيم وهي موجودة بكثرة في صحيفة .

رابعا ـ بعض مناقب الشيخ محمد بن عبد الله الشهير بزيتون مبتورة ، وانما منها صفحتان فقط .

خامسا ـ اجازة الشيخ الحضيكي لاولاده الثلاثة احمد وعبد الله والحسن في صفحة ، وهي معروفة موجودة ، ولعلها ايضا في المجموعة الحضيكية الموجودة في الخزانة الكتانية ، وإثرها اجازة محمد ابن الحسين الاسغاركيسي لهم .

سادسا ـ فهرست عظيم به طرت فرحا الى السماء ، فإنني ما سمعت به قط ، ولا ظننته موجودا ، وهو للعلامة محمد بن محمد بن ابراهيم التانلتي ، من احفاد الشيخ سيدي محمد بن يعقوب ، وهذا العلامة من أهل الثاني عشر

ذكـره الحضيكي في طبقاته وأثنى عليه، وأرخ وفاته بسنة 1167 هـ ولكـن نمر بتلك الاوصاف التي وصفه بها الحضيكي معاصره مر الكرام، لاننا نالف أن لا يلفت أنظارنا الا الاعمال الثابتة، والتراجم الحافلة بالاثار التي تؤيد مثل تلك الاوصاف، وقد كنت أتتبع اثار التاتلتيين من بعيد. فجمعت من علمائهم ومن أبنائهم ما أمكن، حتى بعض قوافيهم سقطت الي، ولكنني اليوم لما وقعت على هذا العلق النفيس، احسبني ملكت مقاليد ترجمة هذا العلامة وترجمة والده العلامة أيضا، وقد افتتح المؤلف فهرسته بقوله: الحمد لله الذي لا توجد حقيقة حمده الا لديه، ولا تنتهي العلوم الا اليه الخ..

الى ان قال باختصار مني: فيقول محمد بن محمد بن ابراهيم من ذرية ابن يعقوب: لما خلت من العلماء هذه الديار، حاول والدنا إظهار معالم المحجة، وسعى جهده فى تحصيل ما يحتاج اليه، من الكتب الفقهية، وكتب السنن والآثار، ودعته همته الى جمعها من الافاق باستنساخ وشراء، حتى بلغ من ذلك غاية المنى والسول. فاعتنى مدة عمره بقراءة كتب الحديث من الجوامع الصحاح، كالبخاري ومسلم والموطا الخ.

ثم ذكر شيوخ والده احمد بن ناصر وابراهيم الفيومي، وكتب له إجازة ذكرها، واحمد الشرقى بن عبد العزيز المغربي السفاقسي، وذكر إجازته له، وقد لاقى آخرين فى رحلته الحجازية، ثم ذكر أنه كان يحضه فى الصغر على بذل الجهد فى التعلم، ثم ذكر المؤلف اعتناءه بالفقه والعربية أولا، ثم بغيرها، ثم أشار عليه الفقيه احمد البعقيلي [1] المشهور بالهشتوكي بالتدريس في الرسالة، ثم انتقل الى الحمراء كاقتراح منه على والده، مستعينا فى ذلك بالشيخ ابن ناصر على موافقة والده، فأخذ من هناك، ثم ذكر أن والده اول مشايخه، وانه اجازه اجازة مطلقة، ثم أحمد الرسموكى الفرضي من المراكشيين وعبد الله

---

1) هكذا، وهو مشهور بالتملي احوزي من احوزين ناحية التمليين. اللهم الا اذا كان يقصد آخر. وان كان احوزي هو المشهور بالهشتوكي مع احمد بن ناصر في (تامكروت) وما اليها.

الفلالي منهم، وعبد الله الووكدمتي منهم أيضا، وذكر ما أخذه عن كل واحد، ثم ذكر وفاة والده 1134 هـ كما فى الطبقات، ثم ذكر مسلكه فى زاويتهم، فاتبع سننه في الاعتناء بالحديث، وقد ذكر ان والده يامره ان يعنى بالقريض وذكر بعضه، ثم ذكر إجازة الووكدمتي له، ثم ذكر حجته ودخوله القاهرة، وأخذه عن علي الشريف الحنفى الاصولي، ومنصور المندمي وعن عمر الطحلاوي، ثم حج ثانيا فأخذ من الازهر أيضا عن العماوي هو ورفيقه المحدث احمد الغربي الشهير فى العدوتين [1] وذكر إجازته له ولصاحبه الغربي، ولقي هناك محمد بن محمد الرفري الشافعي واجازه بدلائل الخيرات، وساق اجازته، ثم ذكر أنه انتفع برفيقه الغربي المذكور، وأنه اغتبط بمرافقته، انتهى تلخيص ما في الفهرست وهي فى 26 صفحة فى القالب المذكور.

سابعا ـ شرح الشقراطيسية للحضيكي، وهي منظومة لعبد الله بن أبي زكرياء يحيا بن علي الشقراطيسي التوزري فى المديح النبوي، وهي لامية مطلعها:

الحمد لله منا باعث الرسل   هدى بأحمد منا احمد السبل

وهي قصيدة تدرس في مدارس جزولة، وهو شرح بسيط يحل به الالفاظ وقلما يزيد، وقد كنت سمعت بهذا الشرح، ولكن لم أره إلا اليوم، وهو فى 42 صفحة.

ثامنا ـ رحلة الحضيكي الحجازية، وقد كنت رأيتها قبل اليوم، ونسخها وإن كانت قليلة توجد، وقد كنت عرفت واحدة في يد الشاعر البونعماني، والاخرى سمعت بها عند أولاد الفقيه سيدي المكي البزيدي الآيسي، وهذه هي الثالثة، والرابعة في الخزانة العامة في الرباط، وهذه ما أعلم فقط الان، الا أن هذه التي بين يدي حين تتبعتها وجدتها منتهية الى ذكر النيل والاهرام في أحوال مصر، وآخر عبارة فيها (وأخبار مصر لا تنحصر، ولقد وضع اصحاب التاريخ عليها تآليف عديدة في عجائبها اللذيذة) وهي فى 46 صفحة في ذلك القالب:

---

1) هو جد صاحبنا سيدى مصطفى الغربي الرباطي سيد اقرانه علما وادبا ومعرفة بالكتب وهو يجمع كل ما يتعلق بجده هذا لوضع مؤلف خاص به.

تاسعا - شرح محمد بن علي الخروبي على الصلاة المشيشية فى 17 صفحة، والمذكور من اهل العاشر، مشهور مع سيدي ابن عمرو المراكشي فى سفارته للمغرب .

عاشرا - مؤلف للحضيكي حول فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في 14 صفحة عدد فيه عن ابن فرحون فضائلها ، وفيه أحاديث ونقول عن ابن عبد البر وغيره ، ولم أره قط . ولا علمت به قبل اليوم .

حادي عشر - مؤلف له آخر في اصول الطريق الصوفي فى 4 صفحات، نقل من أوله عن زروق ، لم أره قط قبل اليوم ولا سمعت به.

ثاني عشر - رجز صغير لاحمد القاضي العباسي، ذكر فيه بعض ما في البردة من الفضائل أوله وفيه تسعة أبيات :

أعوذ بالله من الاقوال كانت بمعزل عن الافعال

ثالث عشر - مناقب احمد بن عقبة اليماني الحضرمي فى 21 صفحة نقله الناسخ من خط الحضيكي، ولعله لزروق، وفى أواخر المجموع بعض أخبار قليلة بقلم الحضيكي عن آل ابن ناصر ثم ذكر انه روى المسلسل بسورة الصف عن العجمي عن والده عن البابلي عن الشهاب احمد بن محمد الشبلي عن يوسف عن والده زكرياء الانصاري الشهير الخ، قال، وأخبرني به أيضا الشيخ الحفناوي الخ، كما ذكر المسلسل بالمصافحة عن الحفناوي عن الشيخ عيد عن البصر عن البابلي الخ، وبهذا تم المجموع .

-_-_

بعد لاي اغتمضت عيناي، فبعد الظهر ظلت أملي على الاستاذ ابن الطاهر من فوائد المجموع، فقال إنني ما كنت أدرك حقا الادراك نفاسة ما فيه، فقلت انه كله نفيس، وأنفس ما فيه ذلك الفهرست، ثم صرت أتمم عليه ما كنت افتتحته آخر الجلسة فى الهاجرة، فأسرد عليه أسماء المؤلفات السوسية ، لالحق بالموجودات منها ما يعرفه موجودا، فأفادني الخير الكثير، لان له إطلاعا كثيرا. قد كان معنا النجيب سيدي البشير المسعودي في داره بالمعدر، مع ابن الكريم

رب مثوانا السيد العربي [1] بن الناجم، وله أيضا جولات في الفنون، ولا يزال يتلقى عن استاذه ابن الطاهر جليسي الان، فصارا ينسخان لي ما أحتاج الى نقله، كما صار الاستاذ ايضا ينسخ، وأنا بين النساخة والمطالعة والمباحثة، فكنا في شغل شاغل، وبعد العصر لبينا البشير المسعودي، فألممنا بدار الشاعر البونعماني، ففاضت علينا خيراته، وأتذكر أياما مرت لي فى تلك الزاوية سنة 1332 هـ ثم كنا أيضا فى شغلنا لم نزل عنه إلى ان أظل غروب الشمس ، فجلت مع الاستاذ والبشير المسعودي جولة خارج القرية، فبعد أدائنا فريضة المغرب رجعنا، ثم غرقنا ثانيا، فكنت أتلو من كتاب (المترعات) على مسامع الاستاذ من أقوال نظراء الشاعر [2] الحسن التناني، فأعجب به غاية الاعجاب ، وقلت له انه من نوابغ المغرب كله لا سوس وحدها، وكما تلونا أيضا لسعيد الحامدي قولته التي في آخرها:

سأنصف حر الشعر مني بمجلس ... حبيب بن اوس فيه والى المظالم

وهي قصيدة طنانة، وما تلوتها على الاستاذ في هذه العشية أو صبيحة الغد - الشك مني الان - إلا لانه أتى بقصيدتين له لم يرضهما لشهرته العليا في الذي يوصف به من الافلاق، فقلت له ان مجموعة من قصائده، ومن بعض أقوال ولده احمد عندي، ومن ضمنها هاتان القصيدتان، وبينها روائع، فحين سمع هذه الميمية اعترف له بالافلاق على الحقيقة [3] هكذا قضينا بياض اليوم كله .

الجمعة 14

كنا على موعد مع سيدي مسعود ابن العلامة محمد بن مسعود ، فبكرنا نحو مسكنه ، فزرنا اولا ضريح شيخ المشايخ سيدي سعيد المعدري فوجدنا مقامه مشعثا ، وسقوف زاويته الخالية متداعية ، فقلنا أين تلك الطوائف التي كنا نعرفها هنا ؟ بل أين المئات التي ترد من كل وجهة ؟ ويبقى وجه ربك

---

1) هو الان من الممتاز في الكفاح ومن رجال المقاومة الكبار.

2) هذا النابغة لم يطل به العهد فتوفي وشيكا، وقد اوصى الي بمجموعة اشعاره فانتقيت منها لكتاب (المعسول)

3) هذه القصائد كلها في (المترعات)

ذو الجلال والاكرام ، هذا واحفاد الشيخ غريقون في تجارة واسعة ، لايشمون مما لجدهم اريجا ، ولا يمتون بسبب الى نيل تراثه ، الا أن شابا منهم رأيته بين التلاميذ البونعمانيين على سمت حسن ، لعله يسترجع الله به التراث الى ما هو عليه ، وما ذلك على الله بعزيز .

ثم جلسنا في زاوية ابن مسعود، وهى مثل جارتها الانفة الذكر، الا ما كان من ابنه هذا المفضال الذي له يد لا بأس بها في العلم ، فإنها بسببه لم تبلغ الدرك بعد ، وله ولد يسمى محمدا يظهر أنه سينجب، وأنه سيحوز تراث، جده وهو الان يأخذ عن العلامة الاديب ابي العباس اليزيدي في المدرسة الجشتيمية التملية (1) .

والى الينا رب مثوانا ، كتبا لعلنا نجد فيها طلبتنا ، فإذا بكناش صغير مما يقيد فيه والده في مباديه سوانح فكرية ، تجيش بها شاعريته المبكرة ، فنقلت منه ما يأتي :

قـــال :

وما الخل الوفي بذا الزمان	سوى مثل السراب لدى العيان
يريك وميض سن في ابتسام	لعمرك انه سيف يماني
يقلبه فحيث رأى انخداعا	اليه دهاك من غير التواني

وقال أيضا :

لأم العذار بعارضيك موثر	كالقوس والجفنان كالسهمين
عجبا على ضعف الفتور تسابقا	للروح كالبرقين مكتنفين

وقـــال :

عشقته أسود لا يتقـــي	بالهجر تعذيبي وسوء البعاد
ما شأنه السواد فالعين من	نور وما يشينها ذا السواد

1) انتقل هذا الشاب الينا بمراكش بعد رجوعنا اليها 1365 ه ثم لازم دروسنا ودروس ابن يوسف الى ان تجاوز السنة الرابعة في الثانوي فاذا به مرض فلم ينشب ان التحق بربه نحو 1368 .

وقـــال :

عرج نقص المحاسن منـــه — فهو كـالغصن رض بالحدثان

هو طرف يغبو عن الطرف هبه — لم ترده للجري في الميدان

قال انه ينظر في ذلك الى قول ابن سكرة الهاشمي :

قالوا بليت بـأعرج فأجبتـهم — العيب يحدث في غصون البان

انـي أحـب حديثـه وأريـده — للنوم لا للجري في الميدان

وقـــال :

يـــسائلني لم بان عني مغاضبا — الا فاعجبوا من انقلاب الحقائـــق

اقـــر له بالذنب وهو الذي جنى — عسى اجتنى من ورد روض الحدائق

وقال على لسان من شرب كأسا من الاتاي باردا :

اشربها بردا وأرشف مـــن — ثغر الحبيب بـاردا بـــردا

كى أجمع الشكل الى شكله — كأنني اسقى على بـردا (1)

وقـــال :

عجبا ارتجـى الدنو فلمـا — أن دنا صـار غـاية في البعاد

صار أقرب منه من كان في الصـــين وذا قرب شخصه في ازدياد

وقـــال :

تحاكم السود والبيض الي ولم — يكن لحكمي بهتان ولا زور

فقلت في خال وجنـة مـوردة — ذكر من الحق بالسواد مذكور

وقـــال :

رام انصرافا فقلت ويك هل صرفوا — في النحو لفظة ابراهيم او منعوا

فقال قد نقص الهوى القواعد لا — تطمع ومن قبلك العشاق قدطمعوا

وقال مهنئا بولد :

ليهنك بدر بان في طالع السعد — وفى الدهر منه بالاماني وبالوعد

فابقاه من براه ممتطي المجد — ووالده حتى يرى ولـد الولـد

---

1) بردى محركا ، واد ازاء دمشق .

وقـــال :

سـالم فديتـك من هجـر   لابد يغـلـب من صبـر

لابد يغـلـب عاشـــق   ان الجـفـا أدهى أمـر

هذه المقطعات كلها وان لم يكن بعضها محكما ، فإنه لتدل على نفسية الاستاذ الادبية في مطلع فجره ، وقد تذاكرنا هنالك مذاكرات فقهية وغيرها ومعنا رفيق الاستاذ ابن الطاهر المذكور قبل ، والفقيه محمد احمد بن مسعود استاذ مدرسة المعدر منذ نحو ربع قرن، وهو فقيه حسن الاستحضار، حتى ليتعجب من ذلك من لا يذاكره ، وكان فكها ممراحا على خلاف ما يبدو عليه باديء ذي بدء ، وحين اظلال صلاة الجمعة، ادیناها فی الجامع بخطبة الاستاذ ابن احمد المذكور ، والمسجد يكاد يفعم[1] وقد تعجبت مع الاستاذ ابن الطاهر من تناقص عمارة هذا المسجد الذي كان مضرب الامثال فی العمارة وازدحام المصلين، وقد مررنا أمام بابه فی وقت ولا ديار فيه، وقد كان ذلك يعد قبل هذا الحين من المحال، وليس هذا من قلة سكان القرية العظيمة، فإنهم يبلغون زهاء 400 دار ، فی نحو ألفي نسمة، وإنما ذلك لاعراض الناس عن المسجد ، الا من بعض أناس لا يزالون موفقين، والمؤذن الدائم فی المسجد سيدي الحسين الويدوشى قائم بالاذان فی الاسحار وفی الهواجر، وابن عمه السيد بلقاسم من أثرياء القرية، يجالسنا هناك دائما فی دار سيدي الناجم، ورئيس القرية تزنيتي، لا يمت الى المعدريين، ولا يمتون اليه، فلا جرم لا يشفق عليهم إلا عرضا ، ولا يحبونه إلا لماما، وقد كان طاهيا لبعض الرؤساء الاجانب فی مراكش ما شاء الله، ثم اقترح عليه رياسة المعدر. فنفذ له ذلك، وبعد وفاة الفقير بريك بن همو الرئيس السابق، اقترن بزوجه، ثم أتى على كل مالها ثم ماتت، ثم لا يزال على حاله الى الان، والفقير بريك كان أخا الشيخ سيدي سعيد بن همو لابيه، وكان أصغر إخوته، ولذلك تأخر عنهم كثيرا، وقد كان رئيسا زمن الكنتافی وبعده، الى ان توفی 14 ـ 1 ـ 1350 هـ. وله مأثرة وهي لزوم الصف فی المسجد لا يغبه، ثم لا

1) يقول المعدريون ان مسجدهم هذا من آثار الامير بودميعة .

يخرج صباحا الا بعد الضحى. وقد كان فردا بلا أولاد مع نموله ودخوله أملاك الناس بما لا يرضى من مثله من الاستدانة، فقيل له: يافلان اما آن لك ان تتوب فترد الاملاك الى ربها، فأنت بلا أولاد. أتتحمل الاثم ثم تترك ذلك للعاصبين ؟ كأنك لا تدري ما أمامك، قال: والله ان كل ما تقوله لحق، إلا ان النفس الامارة أبت ان تنقاد، ولكنه على كل حال رئيس يذكر بخير، فلا يقبل سجن معدري الا رغم أنفه، وليس منه الا التهديد بفيه فقط، رحمه الله وسامحنا وإياه، وقد كتب من عندي الاستاذ ابن الطاهر قائمة مؤلفات ابن مسعود، وهذين البيتين له : أو لاخيه السيد الطاهر:

تعال الي فالطجين مهيأ — وخبز الحوارى حوله يتلألأ
فقد فاحت النعمى وطاب وريفها — فياسعد من فى فيئها يتفيأ

كما قيدت عنه الخير الكثير من غير علماء أهله، كترجمة الاديب أبى زيد الازاريفي وتراجم العلماء الازاريفيين الوجانيين المتأخرين، وقد أعانه فى ذلك سبطهم سيدي محمد رفيقه، واعدا أن يوافيني بوفياتهم، وما قدر عليه مما حولهم، هذا ولا يمكن لي ان نذكر كل ما جلت فيه مع الاستاذ ابن طاهر، لئلا أسهب اكثر من هذا .

السبت 15

توادعت مع الاستاذ وسط هذا النهار، بعد ان لبينا ثانيا حفلة اخرى للفقيه سيدي البشير المسعودي، فرحت الى السيد محمد البعمراني من أثرياء (المرس) مرس أيت عمرو، قرية من قرى المعدر، كان اقترح علي ان اروح عنده، فوجدت فى بيته سيدي الحسين المعدري استاذ مسجد (الدشيرة) قرية من قرى المعدر، وهو من الاخذين عن شيخنا أبي العباس ابن مسعود، وهو مسكين هين لين من أصحاب الطريقة الالغية الصوفيين، وديدنه المشارطة فى المساجد. وقد رأيت فى (المرس) دارا كبرى، قيل لي انها للقاضي الحاج احمد المرسي ممن قدمه المولى الحسن الى القضاء 1299 هـ. وقد دلت تلك الدار على ثروة ووجاهة، وقد مررت ايضا فى تزنيت بدار كبرى قيل لي انها كانت قبل الان له ايضا، بناها

فى أرض اقطعها له التزنيتيون، وذلك كله مما يدل على مقامه الذي لم ينله الا بعلمه، أبعد هذا يقول الذين لا غرض لهم إلا غرض الحياة الدنيا، ان العلم لا فائدة فيه ؟ مع انهم كما يرى مائتون، لكونه سلماً موصلا الى ما يرومون ، وما عند الله خير وأبقى، ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الاحد 16

بت فأصبحت مرتاحا من الجهد الذي نالني في المجالس العلمية المعدرية التي تملأ جنبي النهار وما بينهما، وأنا دائما وان كنت احب الاجتماع فى المباحث العلمية، لكن يعقب ذلك مني فتور يرض عظمي، ويذوي نشاطي، فلا بد من استجمام استرجع به نشاط الطبع، ولم استفد من هناك الا بعض أخبار عن علماء فى قرية (الدشيرة) كالعلماء الحصريين، وقد كان مبارك الحصري العلامة عظيم القدر يشارط دائما، وقد شارط فى مدرسة إفرض أطاها بحاحة نحو 12 سنة وذلك فى عهد الحاج عبد الله الحاحي الشهير [1]، وقد جمع هناك مالا كثيراً، فعزم على الفوز به بعد ان طرق اذنه ان أهل البلد قد عزموا على ان يحولوا بينه وبينه، ففرق ما عنده بين أمتعته، فجعل الكل في خناشي الطلبة، فواعدهم السويرة فاستوطنها حينا، فاشترى أمة أو أمتين فرباها على إجادة الطبخ، ومزاولة شؤون الدار، ثم حل فى قرية (الدشيرة) وهو مذكور فى غير هذه الرحلة، وإنما ذكرنا هذه الحكاية لاننا لم نذكرها هناك، وقد وقفت على رسالة صغيرة كتبها الى الفقيه احمد أضارضور نصها وهي نظمية نثرية .

سلام على خير الكرام الاماجد ... سليل الفحول ماجداً إثر ماجد

سلام محب شيق نحو صاحب ... كياقوتة وسطى بوسط القلائد

خليلي أبى العباس أمهر عالم ... من إكرار مثوى للعظام الافارد

وبعد فما سؤلي سوى الدعوة التى ... تجاب بفضل الله رب العبادد [2]

وإن ترسل القاموس انظر فيه ما ... أريد جزاك الله خير الاماجد

---

1) توفى 1284 ه‍ .

2) من جموع عبد .

الاخ العالم النزيه النبيه شمس قطرنا سيدي احمد الاكراري، السلام على سيدي ورحمة الله وبركاته، أما بعد فالقصد اولا الدعاء، ثم ان ترسل الكتاب، فسأرجع في هذا الاسبوع، فإن كتبي ليست هنا وهي في المدرسة والسلام. مبارك الدشيري المعدري غفر الله مساويه.

وهذه الرسالة تدل على أنه يزاول القريض، وقد أخذ عن احمد أجمل وفى فاس، ولم أقف الى الان على تاريخ وفاته بالتعيين، وإنما أظن انه توفي قبل 1290 هـ. وأما ولده الفقيه الصوفى سيدي محمد فقد أخذ عن مسعود المعدري أخذا حسنا، وكان ذكيا نبيها جليل القدر حافظا لاخبار الناس، لا يفتر، وقد تأسف العلامة ابن الطاهر الرسموكي على إضاعة الكتابة عنه فى الذي كان يذكره فى أحاديثه، قال، لانه باقعة فى الحفظ والاستحضار لاخبار الناس، قال، وقد ذكر مرة ان الذي كتبه ابن مسعود عن الشيخ المعدري وقع فيه بعض ما ليس بالواقع، وآفة ذلك من الذين يحكون لابن مسعود، وهو من أصحاب الشيخ المعدري المذكورين، صاحبه ونال من يده أسراراً، قال، وردت عليه مرة وأنا فى هيأة مرموقة، فحملني لفتا بأوراقه، والكل ملطخ بالطين، فوضعه على منكبي فقال أبلغه دارك، فشق ذلك على النفس، ولكن حملتها من ذلك ما يرغمها، فداواني الله من جبروتها وعجرفتها، وكان يشارط فى المساجد، وذلك هو سببه في المعاش ولا يحرث، وقد عمد مرة الى الحرث، فأرسل اليه الشيخ مولاي احمد الوادنوني قائلا: ما على هذا عاهدناك فقد غدرتنا، ألم نعقد معك ان لا تزال عزوفا عن الاسباب؟ هذا مع ان رزقه فائض ومائدته مبسوطة، يوجد عنده كل ما يوجد عند الاغنياء، وأحب شيء إليه الاضياف يقوم بهم، وكان محبوبا عند أهل قريته، فاذا حضر فيها يتواردون عليه بأوانيهم الطعامية فيتناول منها قليلا، ولا يحب من يأكل منها كثيراً، لترجع إلى أهلها مصونة تعففا منه، ولعلمه أن الصبيان يتطلعون الى مثل ذلك، وتوثر عنه كرامات وكشوفات، تتداول عند أهل قريته، سمعت منها كثيراً، وقد أناف على الثمانين يوم توفى كماذكر هو بنفسه قرب وفاته، وقد كان مرة ركب مع الفقيه الحاج ياسين حين سكن في قرية (الدشيرة)

على فرسين فقال له الفقيه: تهيأ بنا لنجري الخيل، فتسابقا عليهما، ثم قال له انظر ذهبا لاعلمك صناعة الاكسير، فلم يجبه سيدي محمد بكلمة، ثم بعد ذلك قال: انني ندمت على عدم تعلم ذلك، فتعلم علم افضل على كل حال من جهله.
وتوفي 22 من جمادى الثانية 1358 هـ وزوجه صالحة لا تزال قائمة بالافعال الخيرية التي كان زوجها يقوم بها، والناس يعتقدونها، ودار ابن المبارك سمعت ان السيدة تعزى الاغاروبية هي التي جمتها وجعلتها زاوية، فظهرت فيها بركتها الى الان، وقد بدا له اخيرا فذهب الى الشيخ سيدي سعيد، فاستقاله في عهده، فكان الشيخ يصفه بالصدق لذلك.

فمن علماء (الدشيرة) ايضا احمد بن مبارك من بني يعزى، والحاج علي ابن أحمد وآله وكلهم يذكرون ان شاء الله في (رجالات العلم العربي في سوس) ثم اننا بعد الظهر ركبنا متوجهين الى زاوية العلامة وكاك بأكلو، لان عميدها الاستاذ سيدي الطاهر السماهري في انتظارنا، وكان النسيم عليلا، وهواء البحر الطيب يتلقانا بلطفه مرحبا، او هي نسمة من نسمات الروح الوكاكية هي التي ترحب بأحد عشاق تراثها في سوس فترفرف فرحا بنا، اللهم اجعلنا من اهل ذلك التراث حقا، وقد مررنا حين قربنا من الزاوية بدار رئيس أكلو اليوم، وقد كان خليفة للقائد الحسن، ثم اشترى داره الكبرى ذات البروج والساحات الواسعة من ابنائه السفهاء الذين لا يعرفون ان يحافظوا على ما اسسه والدهم، فاستقر فيها، وقد كانت ايضا للقائد قدور الشياظمي الى ان توفي ايضا، فبقي وحده قائما مقام القائد، وقد اخبرنا رجلان التقينا بهما قرب داره وماشيانا، ان الخليفة في مجمع القبيلة، وقد اقاموا اليوم الحفلة السنوية المعلومة في رأس كل سنة، في سقي القبيلة للمنظر في الطاسة التي يفرق بها الماء، فينظرون ثقبها هل بقي كل ما كان عليه في السنة الماضية او اتسع فيصلحونه، وكذلك يقيسون الماء هل زاد او نقص؟ فان زاد يزاد لكل نوبة كبرى - وهي ري يوم وليلة - حظها، وان نقص،نقص عن كل نوبة بمقدار ما نقص، وهذه عادة قديمة ورثتها الاحفاد عن الاجداد الاولين، ومثل هذا

هو المسمى بالعرف عندنا، لا ما يهدم الشرع والعياذ بالله، فهذا من الشرع نفسه، وقسمة الماء هكذا بالطاسة المثقوبة من تحتها، من المتخلفات في المغرب عن زمن الرومان، وقد كانت ساعتهم في عهدهم يعلمون بها الاوقات.

ثم لما أهوينا الى قرية (الزاوية) ودخلنا الدور، تلقانا الاديب ولدنا سيدي يوسف بن الطاهر من أصحابنا المراكشيين فهدينا الى الصراط نحو دارهم، فقطعنا شعبة تأكلت بالماء، ثم تسلقنا الى المكان الذي فيه دار الاستاذ والده' وقد بنيت فوق أكمة مشرفة على القبة الوكاكية فى حجر الجبل، فإذا به يتلقانا، فأهويت لانزل، فناداني ان أبق كما أنت على البغلة إلى الدار، فقلت لا لا، وانشدت بملء في لانه أديب، وهل تحية الادباء إلا الشعر؟ قول المتنبي:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا   فواداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة   لمن بان عنه ان نلم به ركبا

ثم تبادلنا التحية، فسرنا الى الدار على الارجل، فإذا بذوى حسن، يثلج في البادية الصدر، فجلسنا والترحيب يلحقنا من الاستاذ ومن كل أهله، فقلنا اليوم انقطع ذلك البين الطويل، فلننسه ولنستمتع بهذا الوصل:

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة   إذا كان من بعد الفراق تلاق

دخلنا والاصيل يذهب الافق، ونسيم البحر يعطر الجو، والقلوب ترقص فرحا، والنفوس كادت تطير بهجة وحبورا، وقد آنسنا من هذا المكان الذي نستحضر من أخبار دفينه (وكاك) ما استحضرناه انشراحاً عظيماً لعل لاجتماع البر والبحر فيه واستحضار الماضي والحاضر من تاريخه تأثيراً كبيراً فى بسط رواقه علينا، وهذا المكان من الامكنة القليلة التي انتشيت فيها بالمسرة فى كل هذه السفرة المباركة، وقد يكون للنفس انشراح أحياناً وانقباض أحياناً في ببض الاماكن لا يجد الانسان لهما سبباً معروفاً، ولا أكاد أنسى هذا الانشراح الذي خامرني فى مسجد سيدي (وكاك) رحمه الله.

الاثنين 17

رأينا بعض أعيان القرية في عشي أمس، ولكنهم اختاروا أن يخلوا بيني

وبين الاستراحة تكرما منهم وحسن أدب جبلوا عليه، لان أهل هذه الزاوية كما يتراءى لي أفضل الناس أخلاقا، وأدمث من رأينا شمائل ، وأحبهم للغريب أيا كان الوارد عليهم، لا يفرقون بين المشارب، ولا يجعلون الناس طرائق قددا، وسمعت أن الشيخ سيدي احمد بن محمد التيمكيدشتي وولده الشيخ أبا علي والشيخ الوالد كانوا كلهم يحبون هذا المكان حبا جما ويغتبطون بالنزول فيه، حكى رب المثوى الاستاذ الطاهر، أن الشيخ الوالد كان مرة هناك مع طائفته التي تزيد دائما على المائة، ثم بعد قليل رجع أيضا، فقال: ربما يقول قائل: إننا رجعنا أيضا بسرعة، ولكن ما المعمول؟ فإن القلوب تنجذب الى هذا المكان، وقد كان رحمه الله تطيب مجالس ذكره ووعظه هناك كثيرا واشتهر عنه ذلك، ولم أذكر هذا الا لآتي بالدليل الناصع على ما اعترانا أيضا هنا، فقلنا لعل للمكان تأثيرا في ذلك،

إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوى فبالله يا خالي الحشا لا تعنفنا

وأفضل من هذا البيت قول الرمادي في القصيدة التي يمدح فيها أبا علي القالي نزيل الاندلس .

عجبا لقوم لم تكن أرواحهم لهوى ولا أجسادهم لنحول
دقت معاني الحب عن أذهانهم فتأولوه أقبح التأويل

لهننا المضيف، ثم بكرنا الى ضريح نبراس سوس. فحضرنا إليه سالكين بين الديار، حتى ولجنا صحن القبة، والجميع أبيض، وقبته غير متسعة، بل هي وسطى، وقد بنيت في أواسط القرن الماضي، وأحسب أن تاريخ بنائها مكتوب في أحد جدرانها، غير أنني لم اقيده، والبناء القديم انهدم فجدد بهذا، وقبر الشيخ مستقبل الى مطلع الشمس، وفي هذا نكتة تاريخية، وذلك ان من المعلوم أن المغاربة كغيرهم كانوا غلطوا فحملوا حديث (ما بين المشرق والمغرب قبلة) على عموم البلاد، ولم يدروا ان ذلك إنما هو لمن كان في المدينة المنورة وما سامتها من أهل الشمال، ولمن كانوا في مسامتتهم من الجهة الاخرى من أهل الجنوب. وأما غيرهم فقبلة كل جانب بحسبه، وفي نحو القرن الرابع صارت المساجد توجه الى الشرق في المغرب اقتداء بأهل الاندلس الذين اكتشفوا هذا الغلط منذ القرن

الثالث أو الرابع، وأول مسجد عرفناه معتنى به كذلك، مسجد السقاية الذي سمي بعد ذلك حين بناه علي ابن يوسف، مسجد بن يوسف، فقد وجهه الى المشرق وقد كنت أطلعت على أسماء العلماء - وهي نحو عشرين - الذين حضروا لتصحيح قبلة جامع ابن يوسف، من بينهم أبو الوليد ابن رشد، وذلك فى سنة 520 هـ. ثم لما جاء الموحدون ردوا القبلة الى الجنوب كما يرى فى مسجد الكتبية، وأقول الان: إن القبور القديمة التى أطلعنا عليها قبل الخامس فى جزولة كلها مائلة الى الجنوب، وحين كان قبر وكاك الى المشرق ظننا أنه هو نفسه ممن أيد هذه الفكرة الجديدة إذ ذاك فى القبلة، فأقبر كذلك حين توفي نحو 445 هـ. (كما يظهر من ابن خلدون حول وفاته) ثم اتبعه علي بن يوسف، ثم ان الموحدين عاكسوا أولا هذه الفكرة على عادتهم فى مضادة اللمتونيين فى كل شيء، فأسسوا المحاريب الى الجنوب، وقد كان جامع بن يوسف إذ ذاك معطلا إثر فتحهم لمراكش، كما وقفت عليه فى كتاب (التشوف) يوم كنت أبحث فى تطور الحمراء فى عصر اللمتونيين لكتابي (مراكش فى عصرها الذهبي)

هذا وعن يسار الداخل الى القبة، قبر الفقيه البكريمي الشهير توفى 1300 هـ وهو مذكور فى كتاب (رجالات العلم العربي فى سوس) وغربي هذا القبر ضريح الواعظ سيدي محمد بن الحسن من إكشرار من الجبل، وكان واعظاً مؤثراً صالحاً خيراً من أصحاب الرجل الصالح عبد الله العويني، من الاحمديين، وكان الشيخ الوالد يذكره ويثني عليه، وقد كان الواعظ أوصى أن يحمل بعد موته ليدفن عند شيخه بالعوينة، فحمل على البغال فرده الاكلوئيون من الطريق فدفنوه عندهم تبركا به، ولعله توفى 1290 هـ وفي ساحة القبة نطفية مملوءة بالماء، وقد استدارت الاقواس بالساحة، وشرقي القبة بهو حسن للزائرين، فيه نافذة كبيرة مشرفة على القرية، ثم خرجنا الى المدرسة والمسجد، فوجدنا المسجد فسيحا حسنا، ذكر لي انه لا يزال يعمر في الاوقات النهارية، وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة على عادة الناصريين، وأهل اكلو لا يزالون على ذلك النهج، ويعلنون أن ماء عينهم ما بورك فيه الا ببركة الشيخ أبي

العباس التمكدشتي ولذلك يعطونه من غللهم نصيبا الى الان ، يـاخـذه بـعـض ورثـة احدى الآنسات من التمكيدشتيين متزوجة عند آل حسين الاني ذكرهم.
وهناك ايضا قبر الرجل الصالح احمد انجار البوكرفاوي الشهير بقراءات العشر وغيرها، المتوفى 1286 هـ عن يمين الداخل الى مصلى المسجد ، وهو في أس الجدار الشرقي ، وطرف القبر الشمالي تحت عتبة باب الصومعة، واخبرنا أن ولدا له لا يزال حيا الى الان ، ملازما لداره قلما يخرج لكبره ، وصنعته شعب الزجاج والانية الرقيقة ، وله يد صناع عجيبة تذكر ، ويقصد بها من بعيد ، كما ان هناك ثلاثة احفاد لانجار اتقنوا القراءات كجدهم أحياء الى الان ، والحمد لله على بقاء السر فى محله .

رجع الى وصف هذا المكان، وامام المصلى هذا، مصلى الصيف في الصف امامه محراب وسياج من البناء، لئلا يشرف مـن فيه على سطوح الدور المقابلة للمسجد ، ثم وجدنا مكانا جديدا يهيئونه للاستاذ على حدة ، ثم نزلنا من هذا المحل فمشينا في سرداب عليه حمل ذلك المصلى، وهو مقبو بالاجر ببناء متين، وكل ذلك غير قديم ، بل بني كل ذلك مع القبة ، ثم يتعهد فلا يتلاشى ، وعليه رونق ، ثم الى مدرسة قديمة مشعثة بعيدة العهد بالترميم مما كان هيء للطلبة الغرباء في العهد الذي فيه كانت هذه المدرسـة تضم ما فـوق المائـة ، وأما الان فليس هناك الا افراد قليلون ، وإلا صبيان كثيرون نحو المائة ، لان أهل هذه القرية لا يزالون عاضين بالنواجد بى الجملة على بعض مآثر الجيـل الماضي ، وقد تذكرت حين كان هؤلاء التلاميذ يمـرون بي ماكنت أعـرفه في صغـري قبل 1330 هـ من عمارة المساجد ، حتى لتطفح بالصبيان، ثم دخل ذلك كله اليوم في خبر كان ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

رجعت من هذه الجولة وكلي ذكريات ، فقلت ليت شعـري اين مكان الرابطة التي بناها الشيخ وكاك هنا؟ ثم سألت هل بقي مكان ينسب الى الشيخ؟ فقيل ان ها هنا داراً تنسب إليه من قديم، وفيها ينزل بعض زواره، ولا يسكنها إلا نساء بصدد خدمة الزائرين، وقد كان فيها قبل اليوم بناء بالآجر، فقلت لعلها

هي الرابطة أو بعضها، وهكذا ذهب الشيخ وكاك، وذهبت كل آثاره، وكلما سألت عن أي أثر من آثاره هناك، لا أجاب إلا بالنفي، فقلت هكذا ذهب من ربى مؤسس الدول ابن ياسين صقر سوس، إذا كان عبد الرحمن الداخل صقر قريش، ولمشهد وكاك أحباس كثيرة فى هذه الساقية التي تجاوره، كما له أراض تحرث لهريه، وكل هذه الدور المبنية في حجر الجبل، إنما بنيت فى ارضه، وإنما يستحق البناء فيها من قدم طاسة من الماء ليستبدل بها خطة الدار.

رجعنا الى الدار فتهيأ الاستاذ الطاهر الى سوق الاثنين لخدمة رسمية عدلية كلف بها اليوم، فقلنا له إننا على الرواح إلى (إكرار)، فأبى غاية الاباء، ثم جاء سيدي احمد بن العربى، وسيدي محمد بن الحسن مقدم الفقراء، فعزم كل العزم على أن أبيت ثانيا، ولما لم يمكن التملص أجبت، فتوجهوا الى السوق، فقمت مع شببة الحي الناهضين، كسيدي يوسف، وصنوه سيدي عبد الله، وسيدي احمد زوج أختهما، وهو طالب حسن يتجر، والسيد عمر التاجر أيضا فى تزنيت، والسيد العربى بن الناجم المعدري الذي لا يزال معنا، فركبنا إلى البحر، وبيننا وبينه نحو 4 كيلو مترات أو أقل، فذهب الاديب يوسف بالاواني والفراش، وأوصى أن يلحق بنا الغداء هناك، فاستوينا فى قبة فيحاء من قباب الحضر، فى دار بناها هناك الشريف مولاي الحسن صنو ملكنا المحبوب وخليفة السلطان بتزنيت ليتنزه فيها، ثم لما عزم اليوم الى النقلة الى (أكادير) صار ينقل منها ما يمكن أن ينقله، ولكن هذه القبة لا تزال مصونة مزلجة بشراجيبها، ففرشنا فيها، فأديرت الكؤوس، وقد انشرحت النفوس، والامواج من البحر المزبد بين أيدينا تتلاطم، كأن بينها حرب البسوس، فقلت للاديب يوسف هل بنا الى أن نستتم البهجة فى النفوس، بمراجعة ما عندنا من الطروس، فظللت أتلو عليه ترجمة شيخ الاسلام العلامة أبي شعيب الدكالي من كتابي الكبير الذي سميته (مشيخة الالغيين من الحواضر)، فافتتحت الترجمة بما افتتحت به هناك:

بأي لسان باشعيب تترجم   فعمرو بن بحر عند وصفك يبكم
فما مسهب الا يقول برغمه   أخيراً وإن طال المدى (الله أعلم)

فاندلقت في التلاوة جهراً وقد خلونا، وللصوت في جوانب القبة صدى رنان، ولزئير البحر العالي اليوم طنين يصك الآذان، فاذهب قدما، حتى تلوت نصف الترجمة في أكثر من كراس فأعييت، فقلت لصاحبي وقد تعجب من إطالة الترجمة:

أطال ذيل مديحي طول لابسه ... إن المديح على التنبال تنبال[1]

ثم قلت له أن الشيخ شعيبا بحر من العلوم، وهذا بحر من الماء، فما أولانا أن ننشد إزاءهما ما قاله أبو نواس الحكمي:

هذا الخصيب وهذه مصر ... فتدفقا فكلاكما بحر

وعند منقطع كثبان الرمال هناك، مشاهد ثلاثة متقاربة: احدها على من يسمونه بسيدي موسى، وقبته بنيت كما في بعض جدرانها سنة 1254 هـ. وثانيها على من يسمونه بسيد مولاي، وقبته بنيت سنة 1264 هـ كما كتب فيها ايضا، وعلى كليهما دربوز ولباس، فقلت اين من يلبس الاحياء ياعباد الله في هذا الوقت الذي عري فيه الاحياء، وتلبس فيه أعواد الموتى، أهكذا يا عباد الله دين الاسلام؟ اهذا مما يقبله العقل؟ فلم اشعر ان قلت:

ياليت لي سعد القبو ... ر فألبس الحلل الرفيعة
ويشاد بيتي قبـــة ... شماء من قمم بديعة
ويطاف حولي والجيو ... ب تصب في وسط الربيعة[2]
ويصونني الحجاب ممــ ... ـن سنهم نحوي سريعة
وتجيب آمـــال اذا ... ناديت لبتنني سريعة
فأظل طول العمر في ... علم ومرتبة منيعة[3]

---

1) التنبال: القصير.

2) الربيعة: صندوق النذور عند الاضرحة المقدسة.

3) ينظر الى قول القاضي عبد الوهاب.

يالهف نفسي على شيئين لو جمعا ... عندي لكنت اذن من أسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسألة ... وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

حتى يجيء رسول ربـ	ـي كي اسلمه الوديعة
فإذن تقضي منيتي	ممن حيانهم خديعة
فيكون امري للذي	بعدي اذا اضحى سميعة
أن لا يسنم مرمسي	وفق المحقق في الشريعة[1]
فالخير كل الخير في	بعد الانام عن البديعة[2]
دعني من الاقوال فهـ	ـي كثيرة شتى صديعة[3]
ظلم لمن يرنو فلا	يلقى بمطلعها صديعه[4]
اما الطريق المستنيـ	ـر لمن هم من خير شيعة[5]
فالسنة الغراء نو	ر أبصروا قومي سطيعة[6]
ودعوا[7] بنيات الطريق	مباعدين عن الذريعة[8]
هذا الرحيق مروقا	من ذا يديل به مجيعة[9]

1) في مسلم ان عليا رضي الله عنه قال لابي الهياج الاسدي : اتريد ان ارسلك الى ما أرسلني اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن، ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته .

2) البديعة ، جمعها بدائع ، وكان مالك ينشد دائما :

وخير امور الدين ما كان سنة   وشر الامور المحدثات البدائع

3) كالبيضاوي الذي خالف الجمهور، فاباح البناء على القبور، وهو معذور - كما يظهر - فلم يمارس الحديث كثيرا ، والا فما يصنع بحديث عائشة في الصحيح ، وهو معروف عند ارباب الفن فلا نطيل به، والصديع، المصدوع .

4) الصديع ، الفجر، اى ان من يرنو لا يلقى نوره في مطلع تلك الاقوال لكونها عارية عن مستند .

5) وهم المحدثون جعلنا الله منهم بمنه وكرمه .

6) سطع البرق سطوعا وسطيعا .

7) تلميح الى قول القائل :

فهذا الحق ليس به خفاء   فدعني من بنيات الطريق

8) يقول بعض الناس ان في اشادة قبور الصالحين تعظيما لهم في اعين الناس ، ونحن نقول لهم ان الشارع ما منع من البناء عليها في الاحاديث الصحاح، الا سدا للذريعة ، لئلا يقع الناس فيما وقع فيه الجهال والنساء اليوم، من كونهم ومن كونهن، وفي الموضوع مؤلفات

9) المجيع ، لبن معجون بالتمر .

مـن لـم تشرفـه الشـريـــــعة هل تشرفـه البديعة ؟

رفـع النـواوس[1] عنـدنـا   حقا من البـدع الفظيعة

لكن لدى الجهال ليس   يعـد عنـدهـم شنيـعـة

(رجع وانعطاف)، وقد غفلنا حتى انجربنا الكلام الى ما لانريد كثيرا أن نقضي فيه أوقاتنا، لان الناس ما بين من لم يعرف ما يصنع فلا يقعقع له بشنان، وبين جاهل لا يرجع الا بالقوة الدينية، واين تلك القوة الدينية عندنا اليوم ؟ ورحم الله الشيخ التاموديزتي جنيد زمانه الذي كان دائمـا ينكر مثل هذا، فيكسر الجص على قبر مثل شيخه المعدري، وعلى قبر سيـدي سعيد بن عبد النعيم، ويأذن بأخذ الثياب التي على القبور ما أمن الآخذ ان يهتك عرضه ويامر بقلع الاشجار التي تعتاد النساء ربط الخرق بها، والاستعاذة بالجن الذي تتوهمه ساكنا ازاءها، ثم لما احتضر اوصى ان يدفن بين مقابر المسلمين، وان لايميز قبره بينهم، وقال : انني لا أسامح من جاء يدق فوق رأسي، هكذا احيا السنـة من هذه الناحية رحمه الله، ولكن صرخته ذهبت في واد، فلم تؤثر، أيحسب مثلنا من الجهال المذنبين ان يتصدى لذلك فيسمع له ؟ اللهم لا، فإن الماء اذا لم يصف لا يصفى.

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها   بنفسي لي شغل عن الناس شاغل

اللهم وفقنا لنعمل بما علمنا انه حق، وقيض لعبادك من تختاره لارشادهم، فقد شغرت سبل الارشاد وضاعت صوى[2] الحق، ونشأ هذا الجيل يجهل العلم والعمل معا، وان كان من بعضه متعلم، فإنك تجده أبعد الناس عن الحق وعن اتباع ذويه.

ايه، وهناك ايضا ازاء القبتين المتقدمتين بيت على من يسمى الحسن بن ابراهيم ويلقب ابا زغيبه من آل جحيفة من أبناء الشيخ ابن موسى، توفي نحو

---

1) الناووس قبر النصارى وهم الذين يزوقون قبورهم باعتناء، اما نحن فنهينا عن ذلك.

2) الصوى : جمع صوة بالضم : علامة في مجهل وفي حديث في مسند احمد : ان للاسلام صوى ومنارا كمنار الطريق.

1308 ه. ولا يزال حيا من يعرفه ، وقد ساقته ميتته الى ذلك المحل، فدفن فيه، وفي هذا المكان المسمى (تمدا أوكلو) يقام موسم سنوي للبيع والشراء فوق سيدي موسى المذكور ، وهذا وسيدي مولاي يقال انهما من الركراكيين القدماء جدا ، ويقول آل سيدي احمد الاميني القاريء المشهور انه منهم ، وقد بنيت هناك دار للقبيلة قديمة ينزل فيها رؤساء القبيلة في الموسم ، وهي اليوم مرقبة الحرس على البحر ، وقد مد سلك المسرة الى تزنيت منها .

صلينا الظهر هناك ، ثم طلعنا الى الزاوية ، فلبينا السيد الطيب بن حسين فأفاض علينا من خيراته جزاه الله خيرا. واستفدت منه عن اهله مايوجد في المعسول بين الكرسيفيين وقد اعتذر عن زيارة خزانته بالم وجدناه فيه ، واعدا ان نراها مرة اخرى ، وقد هش وبش ، كما وعد ان يعيرني مؤلفا لاحد اهله اعتذر بأنه الان في تزنيت ، ثم من عنده الى دار سيدي احمد بن العربي مقدم الناصريين كأبيه. وهو مقبول اللقاء أفاض ما أفاض، مما لانقدر ان نشكره عليه ، ثم تسنمنا الكدية نقابل البحر الى المغرب، وبعده لبينا اخوانا لنا اجتمعوا في دار مقدمهم سيدي محمد بن الحسن الرجل الصالح ، الكبير المقام في الروحانيات ، وهو عميد الزاوية التابعة للشيخ الالغي هنالك ، وهناك جالست العلامة الفقيه الكبير ابن الخالة سيدي محمد بن عثمان، وقد راح علينا ففاتحني مباحث منها حول المنهج الذي سلكه الشعراني في اختلاف الامة حين يقول : هذا مشدد ، وهذا مخفف ، ثم تجاذبنا القول في المختلفين في النقليات ، هل يصيب الجميع عين الحق في الواقع او انما يصيب واحد ، بعد ما ذكرنا ان المختلفين في العقليات انما اصاب واحد ، ثم بعد العشاء اوينا الى راحة الاجسام.

الثلاثاء 18

افطرنا في دار رئيس القرية ، وهو سيد لطيف هين لين ، في مسلاخ اهل الزاوية وفي شمائلهم وفي كرمهم ، وقد كان استدعانا امس ملحا بعد ان عزمنا على التبكير الى احدى حاجاتنا ، وقد كنت سألته عن رياسة اكلو في العهود الاخيرة ، فذكر ان القائد الحسن بن محمد بن بركي الامراغي من

آل بركي في الزاوية تولى 1299 هـ على يد المولى الحسن السلطان، ثم مات نحو 1310 هـ ثم ولده القائد احمد توصل بالظهير في الدولة العزيزية ، وهو الذي خدم مع الكلاولي في تزنيت الى أن داخل رؤساء اكلوا الكلاولي ، فسجنه فى الحمراء الى أن مات هناك ، وفي عهد القائد انفلوس الحاحي 1319هـ ـ 1321 هـ اتى بابن القائد من مدرسة بونعمان عند ابن مسعود ، فصار قائد القبيلة كأبيه أحمد المذكور ، وقد صاحب معه الفقيه الحسن بن الحسين الباكريمي من تلك المدرسة ، فاتخذه كاتبا وفاء له في صحبته معه ، ثم بعد انفلوس عدت عليه قبيلة اكلو ، فهدمت داره ، فالتحق بتزنيت الى أن توفي 1324 هـ وفي تلك السنة ايضا قتل كاتبه المذكور بيد عبده ، وبعد الاحتلال تولى قيادة القبيلة القائد الحسن بن محمد (أمزور) به عرف ، وكان شجاعا جماعة للاموال كيفما تيسرت وهو الذي بنى تلك الدار التي ذكرناها قبل ، وقد توسع في الدنيا وفي الرفاهية ، وقد اقام مرة حفلة للقواد الازاغاريين ، فأرسل سيارته الخصوصية من أكلو الى الشياظمة لشراء سلتين من العنب لفاكهة المائدة فقط في تلك الحفلة ، فتناقل الناس ذلك متعجبين ، وقد توفي 9 ـ 12 ـ 1352 هـ ثم اتت الحكومة بالقائد قدور الكريمي الشياظمي فصيرته قائدا ، وهو شيخ هم ضعيف الامور لهذا الخليفة الحي الان فأزجى القائد قدور الايام الى ان دخل الحمام يوما في تزنيت فسقط فمات بسبب ذلك في الثلاثاء 25 ـ 8 ـ 1357 هـ ثم بقي الخليفة هذا الى الان قائما مقام القائد[1] يخاطب بذلك رسميا كما يخاطب به الخليفة للشيخ عبدالله الجراري، والقائد مبارك الماسي، بعد ما توفى أخوه القائد محمد بن عبد الله فى الثلاثاء 11ـ6ـ1359 هـ وهو ابن عبدالله احد رجالات ماسة الذين قاوموا القائد الحاج محمد الاغبالولي الى ان سقط عبد الله

---

1) وبعد 1364 هـ نقلت الحكومة الاخ سيدي محمدا ـ كمنفي ـ من الغ الى اكلو كقائد وان لم يكن رسميا بظهير ، فسكن في تزنيت ، وقد امتدت ايامه على تلك القبيلة هادئة ، فحفظه الله بسببه حتى من التوقيع ضد العرش يوم وقعت كل القبائل مع الكلاوي سنة 1370 هـ، فبقي هناك الى ان جاء الاستقلال فتولى القائد عبد العزيز الماسي .

يوم حيدة 13 ـ 3 ـ 1335 هـ. فأخذ الكتاني بيد ولده محمد حتى صار قائدا الى ان مات فتولى بعده مبارك القائد الحالي. ثم ودعنا اهل الزاوية الكرام، فتوجهنا صحبة العلامة محمد بن عثمان نحو داره ، فقضينا الطريق بالمذاكرة العليا في الاصول وفي غيرها ، وقد عدنا لبحثنا امس حول المصيب عند الاختلاف ، اواحد ام الجميع ؟ فقلنا اما المصيب في الحقيقة عين الواقع فواحد بلا ريب لا يشك في ذلك الامن يجعل لكل خلاف اعتبارا وان لم يكن له حظ من النظر ، واما اذا اردنا ان المصيب في حقه نفسه حين بذل جهده ، واستفرغ امكانه ، حتى اداه نظره الى ما اداه ، فالجميع مصيب ومأجور ، وهذا لب ما هنالك من الاقوال ، ثم ذكرت له : ان الواجب على من يريد ان يذوق الاصول، طلاق ابحاث امثال العبادي واللقاني ناصر الدين وامثالهما في شروح جمع الجوامع وفي حواشيه ، فرحم الله شيخنا الرافعي فقد قال : ان من لم يتعاط الا جمع الجوامع والمحلى وما اليهما، فلم يذق بعد علم الاصول [1] ثم جرى على لساني كتب الفن المبسوطة كمختصر ابن الحاجب ، وكتاب الامدى وغيرهما من الكتب التي تبسط المسألة بعبارة واضحة نيرة يدركها كل احد بسرعة وقد كنا بعد جمع الجوامع نقرأ (رجز الاصول) لابن عاصم وبعض كتاب الامدى الكبير ، وكتابا مختصرا نفيسا عصريا لبعض علماء المصريين وهو الخضرى، ثم نجتهد في تطبيق ذلك كله على الحديث الذي ندرسه دائما. فاذن امكن لنا ان نتذوق لذة الفن ، وان نتمرن على اجالته في كل مبحث. ولا يمكن ذلك الا بما ذكرناه ، واما عبارات المختصرات التي تصعب دائما بادىء ذي بدء فقلما تفيد ، ثم ذكرت مقالة ابن خلدون المشهورة في المختصرات ومقالة الشاطبي ، فبهذا وأمثاله امضينا الطريق مع هذا العلامة الاصولي الجليل، وقد مررنا بقرية اماراغ ، فرأينا قبل ان ندخلها اطلالا ذكر صاحبي انها محل

---

1) وقد حسبت العلامة ابن الطاهر الرسموكي حدثني بمثل هذا ايضا عن الاستاذ ابي فارس الادوزي كما حدث عنه بأنه يقول : ان هذه المختصرات هي التي قضت على العلم في الفقه وفي غيره ، اقول هذه الكلمة حقا قديمة ولكن يسرنا ان يتنبه لها من مشيخة سوس امثال ابى فارس فلا ينفرد اليوم عنهم بذلك امثال الرافعي في الحواضر .

حقول تركها الماء منذ نحو سبعين سنة ، وقد غارت العين ، فوقف عليها الشيخ ابو سالم الاكراري حتى اجريت ثانيا ، غير انها لابد من انسان يحرك منبعها اما بيده واما بشيء ، والا وقفت لا تجري. فيتولى ذلك كل من عنده نوبة الماء.

وحكى ان سبب ذلك، انهم حين وصلوا مجرى الماء في هذا العمل الذي حضر فيه ابو سالم ، حضرت صلاة الجمعة ، فأمرهم بترك العمل الى ان يرجعوا بعد الصلاة ، فعمد بعض من لا يخاف الله ، ولا يعتني بحضور الصلاة الى اجرائها ، فلم تجر له ، فلما رجع ابو سالم شق عليه ذلك جدا ، فصدرت منه دعوة صعبة على ذلك الفاعل ، فأصيب مصابا عظيما يذكر ، وبقيت العين على ذلك الى الان ، ومثل هذه الواقعة تكتب تذكيرا ، فليسمعها الانسان وليمر بها كما سمعها ، فان الله على كل شيء قدير، وقد مررنا بمنبع العين في وسط القرية ثم بمسجد كبير في القرية للجمعة ، ذكر لي ان الجد محمد بن العربي الادوزي يبطيء فيه متى كان هناك مع انسان من اهل القرية، يامره ان لاياتي لطعامه الا بما هو مالوف ان يتناوله دائما ، وقد مضت في ذلك المسجد عهود للتدريس ، كما مررنا هنالك على طلل دار العلامة محمد بن عمر الدغوغي الشهير بالادب من أصحاب مولاي علي العلوي صاحب الدار التي في جوار الكتبية بمراكش ، فأنشدت لصاحبي قول الشريف الرضي :

ولقد امر على ربوعهم — وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب — نضوى ولج بعذلي الركب
فتلفتت عيني فمذ خفيت — عنها الطلول تلفت القلب

وكذلك مررنا بأطلال ديار القضاة الثلاثة الذين ارسلهم الامير بودميعة الى اكلو : ابراهيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن واخويه عبد الرحمن وعبد الله ، وقد رأينا مشهد الاول منهما فى مقبرة القرية ، وفي تلك القرية أيضا سكن الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم ولد المقدم ، دفين قرية ايكرار ، بعد ما انتقل من هذه القرية ، وطلل داره كذلك رأيناه ، وممن مر هناك، العلامة النوازلي احمد بن الحاج ابراهيم أزرور الامراغى الشهير في تلك

الجهة ممن تخرج بالحسن الراسلوادي ، وبابن العربي الادوزي، وكان يشارط في مسجد اكلو ما شاء الله ، ويخطب في الجمع في جامع اماراغ ، ويورق فيه ، وديدنه القسم للتركات ، وفض النوازل ، توفي 1846 ه عن سن عالية وقد تشتتت كتبه بعده .

ثم القينا العصى في دار الرفيق ، فتلقانا والده الفقيه الصوفي شيبة الحمد سيدي عثمان بكلتا اليدين كما تلقانا العلامة المشارك الفلكي سيدي الحسن ابن عبد الرحمن الايكراري من ابناء عمومتهم، مؤقت الجامع الكبير في البيضاء وقته، وانما جاء ليزور بلده، ومر بنا في تزنيت ، فقال: انني في القرية انتظركم، وكان محاضرا فكها مستحضرا جريئا ، وقد اصيب بكريمتيه عوضه الله عنهما الجنة ، ومتعنا بحواسنا بفضله حتى نتلقاه ، وقد صادفنا هنالك ايضا ابن الخالة النجيب سيدي احمد بن الرفاكي ، وقد سكن في دارهم هناك متزوجا ، وهو ملازم للاستاذ ابن الخالة ابن عثمان ، ياخذ عنه في مسجد القرية ، وقد باسطنا سيدي الحسن المذكور انا وابني الخالة احمد الرفاكي ، وابن عثمان ، فقال ابناء الخالات ، كأنهم في وجنات المعالي خالات ، فقلت لا نقبل هذا الا شعرا، فقال :

واشبال هم ابناء خالة	هم في اوجه العلياء خالة
هم الافذاذ في علم ومجد	عليهم سائر الاقران عالة

كان ابن عثمان يدرس مع صاحبه في هذا المسجد ، فأحييا بذلك مأثرة الاسلاف في التدريس المتواصل هناك ، وقد زرت هذا المسجد ، فرأيت البيت الذي يدرس فيه الشيخ ابو سالم، وأبو العباس احمد اجمل، وأبو سالم الكادورتي فرأيته ضيقا ، فقلت (السر في السكان لا في الديار) ، كما زرنا مشهد الشيخ سيدي عبد الرحمن ، ومشهد ابي سالم ، وقبر الفقيه اضارضور ، وقبر المؤرخ المقدام الرفاكي ، ورأينا في وسط المقبرة مشهد الشريف محمد بن ابراهيم ابن علي الوارد من تافيلالت ، فأنزله سيدي عبد الرحمن ، ودار الشريف التي نزل فيها لا تزال معروفة الان ، وقد وقفت على رسم صدقة الدار من السيد

محمد بن علي بن احمد ابن الفقيه عبد الله للشريف المذكور، مخطوطا بخط الشيخ عبد الرحمن ، وهو خط وسط وهو مؤرخ ب 7 ـ 7 ـ 1185 هـ ويقال ان الشريف رحل من تافيلالت بسبب زوج له غصبها منه اهلها، فتناول صرة فتبعهم فلحق بهم في اكلو، فاتصل بها، فقطن هناك، وقد توسع وانتقل من اكرار الى المكان الذي فيه أولاده الان ، وقد اشتراه ، ووفاته بعد 1182 هـ بسنوات قليلة وقد خلف احمد وعبد الله وعليا ، وقد وقفت على رسم تبرئة لهم من انسان ، مما صح له في ارث عندهم مؤرخ بمفتتح 1213 هـ وقد خلف الشريف اولاده صغارا فقام عليهم سيدي محمد بن عبد الرحمن خليفة والده في الزاوية فقدم عليهم من يصلح شؤونهم حتى ادركرا ، وحين ادركوا 1213 هـ نعلم انه ربما توفي والدهم نحو 1197 هـ والله اعلم ، وقد ارسلت الى أحد هؤلاء الشرفاء وهو ابراهيم بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن الشريف محمد بن ابراهيم بن علي بن عمرو ، وهو الذي حكى لي عن اهله ، وعبد الله ولد الشريف عالم شريف النفس جليل القدر ، يذكر بالعلم الكثير ، ولا تزال محررات يده في النوازل والافتاء متداولة بكثرة ، وتؤثر عنه اخلاق لطيفة تدل على نبل ومروءة وهمة ، واقواله تعتمد في المسائل العويصة ، ويعرف بسيدي عبد الله الشريف ، لاندري متى توفى بعد 1213 هـ وقد ترك ولده عليا وهو عالم ايضا مشهور عاصر ابا سالم وأضارضور وطبقتهما . يجول جولانهم ، توفى فى الجمعة من ربيع الثاني ـ كذا بغير تبيين اليوم ـ 1279 هـ وكذلك علي ابن الشريف اخو عبد الله عالم ايضا كأخيه ، ولا يدرى متى توفى بعد 1213 هـ وهو اكبر من أخيه عبد الله سنا ، لا علما ولا اخلاقا كما يقال ، وهؤلاء العلماء الثلاثة هم الموجودون في هذه الاسرة، ثم انقطع العلم فيهم، وقد تشتتت كتبهم شذر مذر ، ولهم شجرة نسب رايتها حاطبة ليل، مع أنها أطول من ليالي الشتاء ، ثم انني ظللت اليوم كله انسخ مما عند هؤلاء العلماء ما احتاج اليه من تحرير تراجم علمائهم ، وانقل الاجازات وقصائد يذكر منها العلامة الحسن بن عبد الرحمن ، وابن عثمان المطلع ، وبعين النجيب سيدي احمد ابن الرفاكي

في النسخ ، وقد لبينا دعونه الى داره، فأفاض مما هو منتظر من كريم مثله .
فأنسنا بمكان المؤرخ الرفاكي رحمه الله ورضي عنه ، وقد جلسنا حين اتلو على الحاضرين ترجمة هذا المؤرخ الطويلة من (المعسول) فأعجبوا بها - كما زعموا - الى الغاية، لانني ذكرت كل ما في الامكان ذكره من جوانب حياته ، ثم تلوت ترجمة ولده ابن الخالة العالم الجليل سيدى ابراهيم [1] حفظه الله، وقد كنا نتشوف الى ان نتلاقى معه هناك، ولكن لم يتيسر له، فاقترح أخوه النجيب والاستاذ ابن عثمان ان نزوره في (تالعنت) ، فبعد الاخذ والرد عولنا على ذلك ، ويوم ابكرار من الايام المعدودة عندي فوائد فى هذه الرحلة، فقد افاض علي سيدي الحسن بن عبد الرحمن سجلا مفعما مما في ذاكرته من الادبيات والفوائد حياه الله وبياه ، كما ان النجيب ابن الرفاكي يوالى اسئلة ممتعة ، فمما سألني عنه ياجوج وما جوج وسده ، فلما كان ما عندى واعتمد عليه لا يمكن بالاجمال سوقه ، ارجأت الجواب ، ثم قلت له سأجيبك كتابة ، ثم بعد ذلك ذكر لى أنه يعرف تفسير الطنطاوى ، فلقت : راجع فيه هذا الموضوع تر ما يشفيك ، فان الذي عندى مجموع كله باسهاب وبراهين هناك ، ثم اعتمد على ما قال والسلام . وكذلك ابن عثمان البحاثة قد تناول (ارشاد الفحول) للشوكاني، فصاريتلو علي فيه مبحث المصيب عند الاختلاف، وهو ذلك المبحث الذي تقدمت لنا فيه المذاكرة صباحا ، فإذابه قد اعجب غاية الاعجاب بالكلام السهل الواضح فقال ، لقد صدقت فى الذي تقوله عن كتب الاصول آنفا ، فقلت نحمد الله على ان سددنا وسددك لذلك ، ولكن لضيق الوقت ولوجود آخرين لا يهمهم هذا البحث ، ولاعتنائي بانتهاز الفرصة في استتمام كل ما عندهم مما اتشوف اليه في هذه الرحلة ، لم يستتم الاستاذ كل ما ذكره ذلك الكتاب ، وفي العشي خرجنا الى خارج القرية مع الاديب يوسف بن الطاهر وقد لحق بنا ، ومع الفقيه سيدي الحسن ، فكتبت عنه اسماء ما الفه وبعض ما حفظه من المقطعات ، وهناك جاء الينا الرئيس في

1) محمد بن عثمان، هو اليوم عضوفى محكمة الاستيناف، وابراهيم واحمد ابنا الرفاكى قاضيان

في الالعاب أحمد المتجول في الافاق بين أوربا وأمريكا . واقترح أن نروح عنده، فأمهلناه الى الغد، ثم سرت معهم ما شاء الله ذريفا، وقد انتقلنا في الاحاديث نتجول في امريكا الشمالية ما بين نيويورك وشيكاغو شرقيا الى سان فرنسيسكو غربيا ثم الى كندا ، كما نجول في بريطانية والنرويج والدانمارك والسويد وسيلاندة وأوربا الوسطى والغربية . وقد كان عرف كل تلك البلاد قبل الحرب العالمية الاولى 1914 م ـ 1918 م ، ثم لا يزال يتردد اليها الى أن اكفهر الجو بهذه الحرب الجديدة ، فلزم داره وهو لا يزال شابا قوي العضلات . ويتقن الانجليزية والفرنسية والالمانية ، ويقرأ الاولى جيدا . وبعد صلاة المغرب رجعنا فصادفنا شريفا طيبا من أغنياء القرية وهو مولاي ابراهيم ففي داره بت بعد العشاء.

الاربعاء 19

افطرنا في دار هذا الشريف الكريم بطعام حضري ـ لانه كان يقطن الحمراء ما شاء الله ـ مع الفقيه سيدي عثمان ، وولده الاستاذ ، والاستاذ سيدي الطاهر السماهري الذي بكر علينا، ثم من هناك الى دار النجيب احمد ابن الرفاكي، ففي هذا اليوم كنا عنده لا امس كما تقدم غلطا، وهناك استجازني سيدي الطاهر كما استجزته . فتدبجنا جعلنا الله من الذين يستظلون بظله يوم لا ظل الا ظله. ولهذا الاستاذ شعر كثير سنورد منه في ترجمته في كتابنا (المعسول) ان شاء الله ، وكذلك ولده الاديب يوسف، فان له ايضا اقوالا حسنة في القريض ، وهي هنالك ايضا ولانطيل بها هنا ، ثم امضينا يومنا كله بمثل ما امضينا به امس، الا انني في الهاجرة نمت نومة استرجعت بها راحتي، على حين ان هؤلا الافاضل لا يزالون فى أبحاثهم وفي نسخهم ما يريدون، وهكذا هكذا الهمم ، ثم بعد العصر ودعنا الصالح سيدي عثمان ، والاستاذ سيدي الطاهر ، والفقيه الفلكي سيدي الحسن ، فتوجهنا لاجابة الرئيس احمد فى قرية سيدي داوود ففقدت البغال ، فاخترنا ان نسير على ارجلنا ، فقطعنا اميالا لم نشعر بها مذ كرة اخذا وردا، وللاستاذ ابن عثمان ذي السيف المرهف ، والجواد اليعبوب جولان في كل

فن ، فنستفيد ونفيد ثلاثتنا ، والاديب ابن الرفاكي في اصاخة الناشد للمنشد[1] يلتقط الفرائد ، ويوكيء على الفوائد . ويستوضح ما انبهم عنه ، ويستبين ما استتر عنه ، الى ان وصلنا مع المغرب ، فصرنا نجول في نعم متنوعة عند ذلك السيد الكريم مع أناس حضروا ، منهم رئيس القرية وبعض الاخوان ، منهم ممن ينتمي الى الفقيه سيدي ابراهيم الايكراري صاحب الرحلة الحجازية ، فأتاني بها ، فرأيتها بخط مقبول ، كما خطها مؤلفها ، غير انها انبترت ولم تتم ، وقد جلد معها كتاب منه الى اهله من فاس ، يبين فيه احوال الطريق ورخص الطعام ، ويوصي على والدته ، وعلى تقوى الله، وهي رسالة حسنة ضاق الوقت عن نقلها ، ثم لما تفرق الناس ، وبقينا ثلاثتنا ، سألتهما عما وصلا في المختصر ، فذكرا التيمم، فجرى درس صغير حديثي فقهي حول آية التيمم ، ثم اعتذرت لهما بان النسيان اتى على كثير مما في صدري من عدم المذاكرة في هذه السنوات الخمس، ثم تداولنا ابحاثا اخرى ثم استرحنا .

الخميس 20

صلينا فتناولنا لهنة سهلة . ثم توادعنا فتوجه الرفيقان الى إيكرار ، وأنا ورفقتي صوب قرية (الارجام) حيث دار الصهر وأولادي ، فمررنا بغربي (العوينة) التي منع أهلها من الخروج هذه الايام تحجيرا صحيا (كما تقدم) ثم مررنا في تراب آيت برايم بإطلال قرية ذكر انها خربت على يد بودميعة ، لانهم ابوا أن يسلسوا لحكمه ، وقد أنسيت الان اسم سكانها ، ثم نزلنا عند متوع النهار ، فأقبلت على نسخ ما كنت محتاجا الى التفرغ له ، وعند الظهر امتلأت علينا زاوية الصهر بأصحابه الذين كان من عادتهم ان يجتمعوا دائما مثل هذا اليوم ، ثم جاء الرئيس على القبيلة السيد محمد امغار لرؤيتي ، وقد كان أوصى صهري على أزور داره متى جئت فلم يتيسر لي المرة الاولى

1) يصبح للنبأة أسماعه   اصاخة الناشد للمنشد
فالناشد : الطالب لضالته ، والمنشد الذي ينادي على ضالة وجدها .

وكذلك اليوم لم يتيسر لي ذلك ايضا، مع أنه قال إننا هيأنا الضيافة . فقلت له، قولة الطلبة الدارجة :

وما القصد الا ان يكون اجتماعنا وما الاكل إلا شيمة للبهائم

فودعناه الى (تيزنيت) لانه بصدد الوقوف على دفع الصوف من قبيلته كما هي عادة القبائل اليوم مع الحكومة، وفي عشية اليوم جاء الاخ الفقيه سيدي محمد بن ابراهيم كزور الساحلي ، مع ثلة من الاخوان ، فرأيناهم وقد كانوا ارسلوا إلي وأنا في سيدي داوود يقترحون الطلوع الى زاويتهم، فاعتذرت لهم ، ولذلك جاءوا وباتوا معنا ، فكان اليوم والليلة للقلوب ، لا للنفوس في مباحثها العلمية ، وقد كنت عولت ان اتصل بالفقيه سيدي ابراهيم بن عبد العزيز الادوزي ، فأخبرت أنه خرج بجمع مع طلبته من المدرسة ، فحرمت التعرف به مع أنه من الافاضل الذين اشتاق اليهم لانه من سلالة اهل الفضل ، وهل ينفح المسك الا بالطيب ؟

وهل ينبت الخطي الا وشيجه وينبت الا في منابتها النخل ؟

فمن زكا اصلا زكا فرعا .

وليس الجود منتحلا ولكن على اعراقها تجري الجياد
ان الاصول اذا زكت ففروعها تزكو كذاك الشبل كالضرغام

الجمعة 21

ظللنا هناك اليوم كله ، وقد ذهب كل من كان هناك ، فأدينا الحق للاهل ، الا ان الفقيه اللوذعى الصوفي سيدي بلخير التيمجاضي من أصحاب الشيخ الوالد ورد فمرت بيننا ساعات لطيفة، استفدت فيها نوادر، وبعد ما حررت عنه ترجمته ذهب الى حال سبيله ، لا جعله الله آخر عهد ، وكل ما قيدته عنه فسيكون في (المعسول) ان شاء الله .

بكرنا نحو (تالعينت) مع البازي ولا يزال علينا سواد الليل[1] مخافة الحرارة ، فإذا اليوم يوم دجن[2]، بل اصابنا رذاذ قبل ان نصل، فوجدنا النجيب سيدي احمد بن محمد بن احمد الرفاكي خارج زياتين (تالعينت) ينتظرنا في قرية هناك ، فجرى الينا لاننا لم نره، فكدنا نفوته، فدخلنا تحت الزياتين الملتفة والشمس قد انكشف عنها الضباب ، فأرسلت كل ما فيها من الحرارة ، فصار النسيم الذي تحت ظلال الاشجار ، يلاعب المذبات ، ويذر الصدور منشرحات ، فتذكرت ابياتا اندلسية لبعض الشواعر ـ لا للمنازي المشرقي كما قيل ـ فأنشدتها لصاحبي :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
قصدنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية الغواني ... فتلمس جانب العقد النظيم

صرت أردد الأبيات بالتغني المطلق ، والبغال تتهادى بنا ، وجدول ماء يعترضنا فنسايره قليلا ، فتزداد النفس بهجة بخضرة الاشجار ورقرقة الماء ، ثم دخلنا تحت جسر صغير ذكر لي ان الذي وقف على بنائه هو الفقيه عبد الرحمن ابن احمد، فكان ذلك من مناقبه حين يهتبل بالمصالح العامة، ثم تبدى لنا باب (تالعينت) بعدما مشينا بين بساتين ، فرأينا ماء (تالعينت) جاريا أمام الباب ، ثم دخلنا فوجدنا الحرس جالسين ، وهذا الحرس نصب حتى لا يدخل من ليس من سكان (تالعينت) الا باذن من الخليفة عبد الله بن عياد، وقد قال: فعلنا ذلك لنعرف ما هو منوط بنا تحت مسئوليتنا ، اقول : كان هذا بعد ان

---

1) تلويح الى قول الجاهلي - اعني الشطر الاخير فقط :

اذا نكرتني بلدة او نكرتها ... خرجت مع البازي علي سواد

2) يوم دجن : غلوظ السحاب بلا مطر .

ذهب هاربا منه اخوه الاديب محمد عبد الرحمن الى أيت بعمران ، فاستاءت الحكومة من ذلك ، فكأنها لامته على عدم حراسته التامة ، فأقام هذا الحرس ، ولم يسألنا نحن أحد ، لان ابن الرفاكي من قطان المدينة معنا ، ولولا ذلك لما دخلنا الا بعد استئذان الخليفة، او حضور من نقصده الينا ، ثم درنا مع أزقة غير منقاة ولا منكوسة كحالة المدن ، لان المكان انما هو قرية ادير السور بها أواخر 1318 هـ فلم يدخلها من التنظيف العصري بعد شيء ، ولا يزال الزبل ونفاية الدور أمام الابواب مكدسا على ما هو معروف من القرى ، وصعب أن يعتاد اهل القرى ما اعتاده الحضريون ، الا ان كانت بلدية تعين على ذلك ، والبلدية أيضا لا تكون الا بالمال ، والمال بكثرة السكان ، وكيف والسكان هنا ليسوا بكثيرين، تشق عليهم المصاريف مثل هذه لو طلبت منهم، ثم نزلنا أمام باب دار مقصودنا مع رفيقنا سيدي احمد بن الفقيه الرفاكي، فخرج الاستاذ ابراهيم وابن عثمان ، فدار السلام بحرارة ، فكان أول يوم رأيت فيه ثانيا ابن الخالة ابراهيم منذ نحو عشرين سنة ، وهو اذ ذاك كما افتتح المبادئ العلمية، ثم دخلنا فعلونا الى غرفة عليا جميلة حضرية بما يدل على سراوة همة ابي هذه الاسرة سيدي محمد بن احمد المؤرخ الرفاكي الذي هيأ كل هذا من أول يوم ، ثم لم ننشب بعد ان جلسنا، ان انتشبنا ايضا في المباحث ، فقال الاستاذ ابن عثمان انني راجعت « بداية المجتهد » فرأيت فيه حول التيمم كل ما كنت ذكرته تلك العشية ، فقلت إنه كان من مراجعنا المعتمدة أيام الدراسة ، ثم افطرنا، ثم أتت كتب طلبتها من مخطوطات الاستاذ الرفاكي، فأتي الي بكناشة فيها أدبيات ومحاورات له ، فإذا فيها عينية له يرد بها على الفقيه أبي العباس الكشطي التناني، ومعها اخرى من الفقيه الطيب البيمنصوري وآخرين، ورجزية للاستاذ علي بن الطاهر الرسموكي ، ثم رجعت المذاكرة حول موضوع مناقشة هؤلاء الاساتذة ، وهو الصلاة في السيارة ، فقال الاستاذ ابن عثمان ، انك كنت ذكرت لي في الحمراء ما كنت تؤيد به الاستاذ الكشطي في جواز الصلاة في السيارة ، فقلت له، إنني ذكرت لكم ما عندي من ان الذي ركب السيارة التي

ليست له ، ولا يمكن ان تقف متى اراد أن يصلي ، وقد كان على طهارة ترابية او مائية ، فانه متى خاف خروج الوقت ، وهو مستحضر للصلاة غير ناس لها ، يصليها كيفما تيسر له ، مستقبلا أم لا ، قائما أم جالسا ، ساجدا او مومئا . ولا أظنكم ترتابون في الصورة التي على هذه الكيفية ، ولا أنكم تتوقفون على ايراد أدلة فقهية عليها ، وأما الذي كان على هذه الحالة نفسها (1) ثم ليس على طهارة ترابية أو مائية ، ثم انه لا يمكن له ان يقف ولا أن ينزل لان السيارة ليست له وقد تذكر حتى خرج الوقت ، أو ليست هذه المسألة هي التي اختار مالك فيها بعينها سقوط الصلاة ، فقالوا بلى، ثم قلت، انني الى الان لم ار كلام الكشطي ، فإن كان يتكلم حول هذه الصورة فالحق معه بلا ريب ، وان أطلق فان اطلاقه في غير محله ، فقال الاستاذ ابن عثمان إنه أولا أطلق ثم رد عليه ، فقيد بعد ذلك بهذه القيود ، فقلت إن معه حينئذ الحق، فقال، وما تقول في الاقدام على مثل هذا الركوب الذي يؤديه الى الصلاة ايماء، أو ليس أن الحكم هنا كما قيل في الاقدام على الحج في السفن الضيقة التي يحمل ضيقها الركاب، حتى يصلوا ايماء ، فانهم نصوا على أن ذلك الحج يسقط عن الانسان ما دام يضيع ركنا من أركان الصلاة، فقلت الان جاء منتطح الفحول ومصطدم الافكار ، ثم قلت، مهلا احك لكم ما قاله الشيخ شعيب الدكالي وقد سألته عن هذه المسألة بعينها ، فإنه قال ، لا أقول لك حتى احكي لك حكاية وقعت لي ، وذلك أنني خرجت سحر يوم من فاس، وأنا على الوضوء في سيارة شركة عامة ، وقد اعطاني بعض اصحابي حقيبة صغيرة فيها حلي كثير يساوي اذ ذاك عشرين ألف ريال حسني ، لاوصله الى أحد أهله بالرباط ، فوضعت الحقيبة ازائي، فحين وقفت السيارة في مكناس وقد اسفر الضوء، وأنا وحدي بلا رفيق ، نزلت لاصلي ، وقد ابتلت الارض أول ذلك السحر بمطر نزل فيه ، فأول ما فعلته ، ان فرشت سلهاما جديدا من الملف العالي على الارض فأصلي عليه ، وفي وسط الصلاة اثيرت السيارة ، فأسرعت في الاتمام، ولكن لم أسلم

1) اي وجده الوقت اواخر الوقت راكبا ، وهو غير ناس

حتى ذهبت السيارة عني فحرت في امري ، وخفت اشد الخوف على الحقيبة، فساق القدر الي بعض معاريفي ، فحكيت له ، فركبنا سيارة له صغيرة مسرعة ، فسبقنا سيارة الشركة الى الخميسات ، فيسر الله حفظ الحقيبة حيث وضعتها فجلست في مكاني وقد لاقيت مشقة عنيفة ، وما ذلك الا لمخالفتي للسنة التي راعت السفر، فأتت فيه برخص كثيرة توسعة ودرءا للمشقة، فإنني أولا أفسدت سلهامي الجيد ، مع أنه منصوص عند الفقهاء على جواز الصلاة ايماء في الطين، لمن خاف افساد ثوبه ، وثانيا فارقت مجلسي ولم أؤد الصلاة كما تيسر لي للمحافظة على عدم فراق آلة السفر وحوائجي ، مع أن المضطر يجوز له أن يؤدي الصلاة كما تيسر له ، كمن كان هاربا على بهيمة من اللصوص او من السباع، فخاف إن وقف أو نزل، فإنه يصلي عليهما دائما ولا ينزل، وما الاضطرار الذي في السيارات مثل هذه التي تكون لشركات لا تعتبر ديننا، الا مثل ذلك الاضطرار، ومن فرق بينهما، فلم يعرف بعد موقع القياس ولا اسناد جزئية لجزئية قياسا ، قال الشيخ ذلك ، فأوردت عليه الشبهة التي يتوهمها كل متوهم في عدم جواز الاقدام على مثل هذا السفر الذي يضيع فيه ركن من اركان الصلاة ، قياسا على ما ذكروه من عدم الاقدام على الحج ان كان يؤدي الى ضياع ركن من اركان الصلاة بضيق السفن ، فقال الاستاذ إنني أولا أسلم تسليما جدليا عدم الاقدام على ذلك الحج كما ذكروه ، وأحكم بالفرق بين ذلك السفر الذي لا يضيع فيه مواد حياة الانسان ، وبين مطلق سفر التجار الذي تضيع فيه مواد حياتهم، وللشارع اعتبار كبير لفتح باب عدم تضييع الاموال التي جعلها الله قيما للناس وقواما لحياتهم ، وبعد ما أقول هذا وعندي ما ارجحه به كثيرا ، أعود فأقول ان المسألة تدور على قاعدة اصولية ، وهي هل يجوز للانسان ان يتسبب في مانع حكم من أحكام الشرع قبل ان يخاطب به خطابا تنجيزيا اولا ، فهنا منبع الحكم في المسألة، فمن اتلف ما يستر به عورته، او سكب ماء وضوئه قبل دخول الوقت الذي لا يخاطب خطابا تنجيزيا الا بعده، او انفق ما يتم به نصاب الزكاة في ماله قبل ان يحول عليه حول بساعة ، او انفق ما يستطيع به الحج قبل ان

يبلغ بقليل ، فهؤلاء كلهم تسببوا في مانع ضد شرط الحكم الذي سيخاطبون به بعد ، فهل عليهم شيء في ذلك؟ فلا شك ان المالكية حين قالوا : ان من صبوا ماء الوضوء بعد دخول الوقت ، فإن صلاتهم بالتيمم صحيحة مع عصيانهم، اي انه تسبب في ضد الشـرط وهو المانع (كما يكون المانع احيانـا ضد الشرط أو نقيضه) ثم قالوا : ان صلاته صحيحة ، ثم اذا كان كل هذا، فكيف لا نقول لهذا الذي ركب السيارة قبل دخول الوقت ، ثم اداه ذلك بعد دخول الوقت الى أن يبقى بلا صلاة ان لم يكن على طهارة الى ان خرج الوقت (ونسقط[1] صـلاة وقضاؤها بعدم ماء وصعيد) وهم يقولون لا يجب على الانسان السعي في ايجاد الشرط قبل أن يخاطب بحكم ، ثم قال بعد ان اطال رحمه الله، وأسهب بالادلة الاصولية في الموضوع، مائلا الى ان الاقدام على حج يسقط فيه ركن من الاركان يدخل تحت هذه الكلية، مباحثا الفقهاء فيما قالوه في هذه الجزئية، ثم ان عرفنا كل هذا نحكم بجواز ركوب هذه السيارات التي تكـون على هـذا الوصـف المذكور، وإن أدى ذلك الى الصلاة فيها كيفما تيسر من صلاة بإيماء او سقوط صلاة على الشرط الذي ذكره الفقهاء ، سواء ركبها راكب قبل دخول الوقت او بعده، الا اننا نقول لمن ركب بعده ، وقد ظن او تيقن عدم تيسـر الوقت الذي ينزل فيه الى الارض لاداء الصلاة التامة عليها، كان يجب عليك ان تصلي الصلاة تامة قبل الركوب لان الوقت قد ضاق بحسبك كالذي يظـن انه سيقتل في وسط الوقت او في آخره ، او ياتيه شغل شاغل يحول بينه وبين الصـلاة ، او بين اتمام اركانها ، كما في المأسور الى سارية ، وكـما في صورتنا هـذه ، ولكن ان وقع ونزل، ولم يصلها الى آخر الوقت فـأداها كما تيسـر له ، فإنه عصى وصحت . هذا ما كنت قلته بتفصيل للاسـاتذة امامي ناقلا عن الاستـاذ الدكالي . وربما زدت الان او نقصت ، ولكن المدار واحد ، وقد ظهر لي من جلسائي انهم صدقوا هذا النظر ، ثم انني بعد هذا رأيت مـؤلف الكشطي، فرأيت فيه التقييد ثانيا، كما ذكره الاستاذ ابن عثمان، وكلام الكشطي حسن

1) هذا مقول ما تقدم اي معمول جملة فكيف لانقول الخ . وهو لفظ مختصر خليل.

وقد ذكر لي أن الاستاذ الرفاكي مع غيره من مؤيديه أنه قال يحرم على الانسان أن يركب هذه السيارات ما دامت تؤديه الى الصلاة إيماء ، وانه قال أيضا يؤدي الاجرة للسائق حتى يوقف السيارة للصلاة ، فقلت إن هذا التضييق في السفر الذي نرى الشارع يرخص فيه كثيرا بالتيمم والجمع بين الصلوات جمع تقديم او تأخير او صوري ، والتنفل على الدابة ، وقد رجح أيضا العلماء اليوم التنفل على المركوبات الحديثة كلها رادين القول بالخصوصية للدابة وحدها حتى المحفة ، وكلام هؤلاء جدير بالقبول ، والا فلا نلوم الظاهرية على عدم القياس بعد الآن ، فإن مذهب مالك وان لم يكثر فيه القياس على الرخص كما قال العاصمي في ارجوزته الاصولية .

ثم على الرخصة لايقاس   والشافعي شأنه القياس

فإنه قد يقاس فيه عليها في جزئيات كثيرة ظاهرة واضحة كما قاس السوسيون مسألة السعاية على القراض مع أن القراض رخصة [1] فيما ذهب اليه المالكية لانه اجارة بأجرة مجهولة ، فجعلوا الساعي كالعامل فيما للقراض سواء بسواء ، فإن السوسيين وحدهم هم الذين قالوا بهذه السعاية وجرى بها العمل عندهم ، لا عند غيرهم كاهل الحوز، قاله ابن سليمان الرسموكي [2] ثم اننا ندرك ان العلة التي ابيح بها التنفل على البهيمة للمسافر انما هو التوسعة له، ليعمل في سفره مثل عمله في حضره، وأي فارق واضح بين البهيمة وبين السيارة مطلقا (كانت لك أو للشركات) في هذا التنفل، فهكذا يقول أشياخنا ويحققونه رضي الله عنهم، فان كان السفر موضوع رخص كثيرة، حتى صار مظنة لكل رخصة. فلماذا نحن نعمد الى التضييق فيه، اللهم الا اذا أردنا ان نقول للمسافرين التجار الذين يغدون ويروحون في مهماتهم، فارقوا دينكم ودعوا الصلوات حتى تجمعوها في الرواح، على ان كل هذا قلما يقع الا في

---

1) هذا وقد حقق ابن القيم انه شركة محققة لان العامل قدم عمله والاخر قدم راس المال وذلك واضح .

2) ذكر ذلك في فتوى له تحت ايدينا .

الصبح لمن ركب في أيام الشتاء قبل الفجر في مثل الحمراء، ثم لا تقف السيارة حتى تطلع الشمس في مثل ابن كرير او سيدي المختار، او القلعة، وأما ما سوى الصبح فهناك وقت متسع، وجمع تقديم وجمع تأخير ، ووقوفات كثيرة في أمكنة شتى وقوفا اكثر مما يصلي فيه الانسان، وكثيرا ما ركبنا سحرا من الحمراء الى البيضاء فنصلي ايماء قبل بنكرير وكنا نستعد بالوضوء، أقول، هذه المسألة ومسألة زكاة الاوراق صارتا تدوران اليوم كثيرا في سوس، والثانية(1) مما استقر فيه رأي العلماء في الحواضر على الزكاة بعد خلاف طويل ، وأما عندنا بسوس فلا يزال بيننا من يقول بعدم الزكاة، ولكن ذلك عما قليل ستنقشع سحابته، فيظهر الحق من ان الحكم فيها بالزكاة هو المتعين، والله اعلم وقد جاذبت في الاولى بعد هذا الوقت الكلام ايضا مع الفقيه البحاثة سيدي أحمد الناظر التزنيتي حتى ظهر لى انه مال الى ما اقول ، بهذه المسألة افتتحنا الكلام ما تلونا القصيدة العينية للاستاذ الرفاكي رحمه الله، ثم ملنا الى الجو الادبى ، فقدم لى سيدي ابراهيم قصيدة لى بائية كنت قلتها في العيد الالفى للمتبنى 26 رمضان 1354 هـ وقد جاءني استدعاء في ذلك الحين من دمشق، ثم اكتفيت بأن جعلتها بين القصائد المغربية المنشورة في هذا الموضوع من تطوان في كتاب خاص، ولكنها غير محررة هناك فاذ سردناها هذا النهار لان الاستاذ ابن عثمان لم يرها بعد، فلنودعها لتكون هذه النسخة الصحيحة هي المعتمدة .

نصها :

هزت قبور بني حمدان (2) في حلبا ذكرى تسابق فيها السن الادبا

اليوم تسترجع الاداب دولتها باسعد من يستلذ الشعر والادبا

ماست على الراحة الاقلام من طرب ومن ينل مبتغاه فليمس طربا

تختال بين سطور الطرس مشية من نال انتصارا على الاقران والغلبا

---

1) الزكاة في الاوراق

2) هم ممدوحوه زمنا طويلا ، يعني انهم يفرحون اليوم حين عرفت لشاعرهم مكانته العليا ، وانه فوق الشعراء كلهم .

فازت على السيف فاختالت بغبطتها   والسيف في غمده ينقد مكتئبا

كانا معا يعرفان ابن الحسين اذا   ينشي القصائد أو يستلئم اليلبا[1]

هذا اذ جاءه وحي [2] وذاك اذا   ضاق الفضاء على الفرسان واضطربا

لم يصطحب قط الا صارما خذما   تمضي ظباه اذا نصل الكهام كبا [3]

او مرقما كعصى موسى يقود به   ان ارسل الشعر عن نفثاته العربا

لكن ظبا السيف حسن العهد يوم نبت   في كفه لامضت[4] من بعد كل ظبا

لم يرض بالصحب[5] واختار الجراز ومن   يغتر يمض سدى اقدامه وهبا

قد باكرته على بيداء [6] تعرفه   زعانف [7] تنكر الامجاد والادبا

حز الهجاء بها [8] فاستغفلته الى   ان باغتت تطلب المسلوب والسلبا[9]

---

1) اليلب محركا : الدرع

2) من قديم يطلق الادباء ما يلهمه الشعراء بالوحي ، وإن كان ذلك انما شاع في هذا العصر .

3) السيف الكهام ، الذي لا يقطع ، ضد الخذم الذي هو القاطع .

4) وذلك يوم قتل ، وقصته مشهورة ، ولا يمكن ان يتفهم هذه القصيدة الا من عرف ترجمة المتنبي حق المعرفة ، وخاس العهد : اذا نقضه

5) بات المتنبي عند اناس فأخبروه بأن اعداء له يترصدونه ، فطلبوا منه ان يرسلوا معه حراسا ، فأبى من ذلك كل الاباء ، فقال ما دام لي هذا الجراز فلا اخاف احدا ، ثم ذهب مع غلامه وولده فقتل يومه ، والجراز بالضم السيف القاطع .

6) تلميح الى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

7) قال :

بأي لفظ تقول الشعر زعنفة   تجوز عندك لا عرب ولا عجم

8) وسبب قتله انه هجا اناسا ، وذكر امهم بما ساء ، فتعرضوا له فقتلوه .

9) تلميح الى قول ابي تمام في بائيته :

ان الاسود اسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

المقصود منها ان هؤلاء ليسوا بشرفاء النفوس كما ذكرهم ابو تمام فيريدون نفسه وسلبه معا .

فصادمت بطلا يلقى الردى قدما	وكان يدرك منجاه لو انسحبا [1]
ويثبت الرجل في مستنقع[2] وخم	ويبصر الفر فوق الموت والهربا
فساورت منه ليثا كاد يهلكها	لو ان اظفوره فيها قد انتشبا
لكنما الليث خانته اظافـــــره	والليث اظفوره لولاه ما رهبا
لو لم يخنه قضيب الهند ما شمتت	اعداؤه أكذا المستأمن القضبا ؟

اما اليراع فمذ الف يفوح على	طرس الخلود بذكرى ابن الحسين كبا[3]
القى به السيف منبوذا وقام به	ذود اليراع الى العليا بكل إبا
والى له ذكريات ما خلا زمن	لم يوح عنه بحوثا تغمر الكتبا
يعنى ذوو الندوات الحافلات به	كأن غدا بحثهم في شعره قربا
درسا وشرحا [4] وتعليقا ومنتخبا	والدر لولا شفوف منه ما انتخبا
ما بين ممتدح مطر ومنتقد	صار التحامل في ابحاثه قطبا
حتى غدا المتنبي في الورى مثلا	اعلى اذا ذكر الافذاذ في الادبا
ذا شهرة في نواحي الارض ضاربة	في شرقنا طنبا[5] في غربهم طنبا
يزوى لها (شكسبير) وجهه ويرى	هيكو يصعر منها خده كثبا [6]

---

1) كان هم بالانصراف لما لاقاه اعداؤه فقال له غلامه ألست القائل : الخيل والليل ، البيت ، فقال له قتلتني ، قتلك الله ، فوقف مستميتا ، حتى قتل ، ولو هرب لنجا

2) قال ابو تمام :

واثبت في مستنقع الموت رجله	وقال لها من تحت اخمصك الحشر

3) الكبا بالكسر : العود

4) ذكروا ان لديوان المتنبي نحو 40 شرحا ، ثم لعل هؤلاء الذين ذكروا هذا العدد، لم يذكروا عن السوسيين مختصر ابن جني لعيسى الجزولي، وشرح ديوانه للنابغة الهوزالي، وترتيب ديوانه للماغوسي الكدميوي ، واما الكتابة حوله من الادباء والمؤرخين والمنتقدين والمثنين من الشرقيين والغربيين فكثيرة جدا .

5) في اصطلاح اليوم ان ذكر الغرب فالمقصود به بلد الفرنج ، والشرق بلد المسلمين حتى المغرب الاقصى ، فافهم وكن ابن زمانك .

6) شكسبير شاعر انكليزي ذو شهرة عظيمة عندهم ، وهيجو شاعر فرنسي كذلك ذو شهرة طنانة لديهم .

شناشن عرفت من أخـزم ومتى ... ترى الاعاجم ممن ينصف العربا ؟
لكن كفى المتنبي الشرق حين درى ... للعبقريين والافذاذ مـا وجبا
هاهم بنو الشرق لاستقباله انتدبوا ... فاستقبلوا منه جيشا جحفلا لجبا[1]
كأنما نـال ملك المشرقين كمـا ... قد كان يهوى فيغضي عنده رهبا
او كان رزق بنى الآداب في يده ... (وعـاد سمحا) فكل امـه رغبا[2]

اليـوم للمتنبي يـوم معجـزة ... أجل لحاظك كيما تبصر العجبا
احيا لنا الادب الحي النضير وقد ... امسى زمانا يبابا دارسا خربـا
وهكذا فلير الاعجاز اذ رجعـت ... سبا الى عهدها بعد افتراق سبا[3]
آي الخلود قرأنا في صحائفهـا ... في اليوم ان قد أمنا فقدنا الادبا[4]
فلتحي ذكرى نبي الشعر حافلة ... نقتض منها عذارى الشعر والعربا[5]
ذكرى يرى المغرب الاقصى بطلعتها ... ثغرا تـألق معسـول اللمى شنبـا
والشرق اجمـع وضاء يفيـض سنا ... كأنما ائتلقت ابهـاؤه شهبـا
قامت محافله في كل عاصمـة ... نثرا بديعا وشعرا رائقا عجبـا
مصر وتونـس الخضـراء في أدب ... طارت به فـاس الغـرا الى حلبـا
كأنما حلب الشهباء عاد لهـا ... في اليوم ما احتجبته وحدها حقبا[6]
اذ كان للمتنبـي في مقاصـرها ... ما يخضع الشعراء في عصره الذربا

---

1) اللجب بكسر الجيم ، الجيش العظيم الكثير وقد وضع في البيت ان افردها عن اسم الاشارة .

2) اشتهر المتنبى بالبخل الكثير ولذلك لوح له هنا .

3) يعني ان معجزة المتنبي كانت فى إحيا" أدب كان مضى واندرس فكأنه احيا الموتى بذلك وهي أعظم معجزة .

4) حقا كانت الحركة الادبية حول المتنبي سببا كبيرا في احيا" الادب خصوصا في المغرب

5) عذارى ج عذرا" والعرب ج عروب.وهي الضحاكة المتحببة الى زوجها والاقتضاض هو الافتضاض يقال بالفا" والقاف .

6) كانت حلب عصر المتنبي حافلة بالشعرا"، كاحتفال بغداد ايام الرشيد. وكان سيف الدولة لايقيم الوزن الا للمتنبي. ولابن عمه ابى فراس والمقصود من البيت ان الشعرا" كلهم اليوم ولوا وجهتهم نحو حلب كما كانوا اذ ذاك

ما زال ينشر فيهم ما يسلسلـــه … فكر حباه من الابداع مـا وهبـا

محلقـا في سمـاوات الخيـال الى … ان جاوز الافق في التحليق والشهبا

حتى رأى العمي منه بله ذي بصر … من كان في عصره خنديذه الذربا[1]

فطؤطئت اروس كانت تناطح في … عليائها بالنظيم المجتوى السحبا[2]

غرتهم كلمات من قصائـــد لا … نبعا تعد اذا قيلت[3] ولا غربـا

وقد هجا نفسه من لا يفرق ان … يسمعهم[4] ويرى أشعاره النخبا

من ذا يسوي ابن عباد الحسود به؟ … من ذا يسوي بأنف الناقة الذنبا[5]

والراكب الثور من بعد الجواذيرى … منه فيستنكر الاظلاف والغببا[6]

يأتي اليهم بعقد الدر متسقـــا … ويعرضون أمام الناس مخشلبا[7]

في كل يوم يقاويه شويعرهم … كأنما طاولت شم الجبال ربى[8]

وأحمد في تعال عنهم ومتـــى … قالوا يصد عن الاصغا بكل إبا[9]

والترك للرد أنكا في الخصوم وقد … شبوا حقودا فيزدادوا بها لهبا

---

1) تلميح الى قول المتنبي: أنا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صمم

2) اجتوى المكان اذا لم يستطب جوه

3) النبع والغرب من الشجر البادية ، وذلك تلميح الى قول ابي تمام ،

تخرصا وأحاديثا ملفقة   ليست بنبع اذا عدت ولاغرب

4) قال المتنبي

وهاجي نفسه من لم يفرق   كلامي من كلامهم الهرا*

5) كان الصاحب ابن عباد يتحامل على المتنبي كثيرا، والف في مئاخذ معانيه، والشطر الثاني تضمين من بيت الحطيئة :

قوم هم الانف والاذناب كلهم   ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وعباد ممنوع من الصرف ضرورة

6) المتنبي ،   ومن ركب الثور بعد الجوا   د أنكر أظلافه والغبب

والغبب : الجلد المتدلي تحت عنقه

7) المخشلب يشبه الدر وليس به وقد ذكره المتنبي في شعر له

8) قال المتنبي

افي كل يوم تحت ضبني شويعر   ضعيف اقاويه قصير يطاويل ؟

9) هجا المتنبي كثيرون فلم يجبهم تكبرا .

قالوا تنبأ الحادا ومخرقة واظلم الكفر في سودائه فصبا[1]

الله يعلم أن الافك ما زعموا نستشهد العقل والتاريخ والادبا

لكن تنبأ عجبا بالقريض ولو فازوا بنايائه تالهوا عجبا [2]

صموا عن الوحي وحي الشعر ثم عموا وابن الحسين يلقى وحيه صببا

وحي الضمير اذا نار الشغاف به فالقلب يخترق الاستار والحجبا [3]

يشاهد الغيب رأى العين عن كثب ويلمس العالم العلوي مقتربا

فينتحي الملأ الاعلى بأخيلة جذابة تستمد السبعة الشهبا

فينفح الشعر عنها روضة أنفا مخضلة صافحت وهنا نسيم صبا [4]

فيخلب القلب معناه وروعته حتى يطير وأعلى الشعر ما خلبا

ويعجب الناس من أنى مئاخذه ولو دروا ذاك لازدادوا به عجبا

ذياك مصداق قول ابن الحسين ومن قال الحقيقة ياللناس هل كذبا ؟

فاجاه في صغر ان استبان له في الشاعرية ما عن غيره احتجبا

ولم يجد عنه تعبيرا يقربه فقال ما قال لا كفرا ولا كذبا [5]

ايه ابا الطيب المغبوط فى همم كالبحر يزبد في أمواجه عببا

هل طبت نفسا؟فكم من شهرة نشرت اما ترى الشرق عنها هب فانتدبا ؟

قد كنت تطلبها فوق الظبا فأنت تحت اليراع خلودا فوق ما طلبا

ان يغلبوك على الدنيا وقد شحذت منك المئاثير والدنيا لمن غلبا [6]

---

1) صبا خرج عن الدين

2) تلميح الى قول ابن وهبون في حضرة المعتمد بن عباد وقد انشد من شعر المتنبي فأعجبه :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما تجيد العطايا واللهى تفتح اللها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى بأنك تحكي شعره لتألها

3) الشغاف بالفتح : غلاف القلب .

4) الروضة الانف-بضم النون:هي التي لم يرع بعد نباتها والوهن بالسكون نحووسط الليل

5) كلام خطابي شعرى كأنه كلام صوفي .

6) قال المتنبي : الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

المأثور السيف ذو الاثر .

فأنت وحدك فيها اليوم منفـرد | استرجع القلم السيال ما اغتصبا
تستوهب العبد ضيعات تناط بها | فأيكم يستحق اليوم ان يهبا(1)
ما معمر ما الشام مما انت مالـكه | يا عاهلا فوق عرش الشرق منتصبا
الشرق اجمع في يمناك فاقض بما | ترضى فلست تلاقي فيـه أي إبا
هبت به ذكريات منـك حافلـة | ففاض في ذكر ما أوتيته أدبا
فلتحي ذكراك ولتحي العروبة في | ذكريمهـا نبغـاء الشعر والادبا

هذه هى القصيدة التى خلفتها فى الحمراء. فاذا بي وجدتها عند أدباء (تالعينت) وقد رأيت ايضا عندهم قصائد متعددة لادباء آخرين ، ممـا يـدل على أن الادب الجراري يتتبع الحركة الادبية في كامل المغرب، ويقتنص منتوجاته بكل لهف. هذا وقد توسعنا بعد تلاوة تلك القصيدة في مباحث اخرى علميـة ، منهـا أنني سألتهم في معرض حديث عن مصداق الحكاية المتداولة مـن ان اعمى يقـوده ولده ، فوصلا جدولا متسعا، فقال الولد لوالده اقفزن – بنون التوكيد الخفيفة – فقفز الاعمى قفزا متوسطا ، فاذا به فى وسط الجدول ، فعنف ولده فقال: لم لم تؤكد لي بالنون الشديدة، قلت لهم هل تدل حقيقة نون التوكيد على كثرة الحدث ؟ او ليس انها انما تؤكـد أصل وجود الفعل فقط ؟ فمن قال : اضربن فإنما اراد منك تأكيد إيجاد الفعل ، فمن اراد التـأكيد كثيـرا اذا كـان ذلك يقتضيه الحال ، فلا بد ان يزيد ما يفيد ذلك، فمن قال اضرب فكأنما قال اوجد الضرب، ومن قال اضربن، فكأنما قال اوجد الضرب ولابد ولابد ولابد، ومتى اتى في كلا الامرين بما يطلق عليه الضرب وان لم يكن كثيرا، فقد امتثل، ومتى أريدت الكثرة او القلة فليقل اضرب قليلا او كثيرا او مثل ذلك. فحكاية الاعمى اذن غير سديدة، فقال كلا الاستاذين: ابراهيم وابن عثمان، ان هذا الذي قلته هو الحق الذي لاريب فيه، فقلت انني كنت سمعت مرة الحكاية من فم أحد العلماء، فقلت هذا فباحثني فيه، واذ لم يكن عندي مراجع اذذاك بقيت من غير نص ادلي به

1) تلويح الى البيت المشهور للمتنبي في كافور :
اذا لم تنط بي ضيعة او ولايـة | فجودك يكسوني وشغلك يسلب

على ما اقول ، فقام الاستاذ ابراهيم ، فأتى بالمطول مع الاطول ، وبكتب من البيان . ولكن قبل ان يستخرج منهما النص المراد ، دخل رئيس الجراريين اليوم، فطويت الصحف ، ومدت الموائد، فقدم الغداء ، وقد حضر مع المذكور اخونا الحاج عبد الله الجراري الذي تقدم ذكره في (انزكان) وقد ورد من كسيمة ، ثم تم التعارف بيننا وبين الخليفة فإذا به من أفاضل الناس ادبا ومخالقة على ما رأيناه منه .

ما زلت اسمع عمري عنك كل ثنا   احلى من المن بل اجلى من القمر
حتى رأى بصري ما قد وعت أذني   فوفق الله بين السمع والبصر

ثم لما اتممنا الغداء، وصلينا الظهر، فاستنهضنا الخليفة بعد ان جاءنا الاستاذ المؤرخ سيدي علي بن الحبيب ، لان الخليفة أرسل اليه منذ ان علم اننا هناك فدخل بنا الخليفة بستانا لهم، شقه جدول العين متدفقا، بل هو جعفر[1] لاجدول فخضنا في حقول ومزارع تحت ظلال وريفة، والاستاذ يلهث، لان ركبتيه تؤلمانه لا يقدر على المشي بهما كثيرا، ثم خرجنا منه الى (الرياض)[2] وهو كبير جدا يقل مثله اتساعا في الحواضر، وفي شرقيه وغربيه حنيات ممتدة مع ارباعه المترامية وهو مقسم على مزاهر كثيرة متنوعة الازهار والاشجار، تشقها الممرات المستقيمة، والاغصان تتهدل عليها من الجانبين، وعند الركن الايسر من الربع الشرقي منه منبع العين الفائرة الفائضة الصافية الا من منبعها فإنه أخضر، وقد ادير به بناء مربع نحو اربعة امتار في كل ربع، فرأينا اليوم ما كنا نسمع به دائما ، والمكان حقا من الرياضيات القليلة النظير، وقد احتفت به بساطة بدوية لها ايضا موقعها في الجمال والنضرة، متى جالت في جوانبها النظرة، والقباب منبثة في الجوانب الاربعة ، وفي شماليه قبة خضراء عظيمة مزلجة واسعة الاركان، امامها بهو[3] داخلي والكل مزلج بزليج نفيس، ومفروش بفراش فاخر كأحسن أثاث

1) الجعفر : النهر الصغير .

2) اعتاد الناس اليوم ان يطلقوا لفظة الرياض جمعا على الروض فنتبعهم احيانا ، وهذا الاطلاق قديم من القرن الثامن .

3) البهو البيت الذي كانوا يقيمونه امام البيوت او الخيام منزلا للغرباء والاضياف .

الحضر ، وأمام القبة للداخل اليها وعن يمينه مرآتان كبيرتان في الجدارين ، وقد تناولنا هنالك حلويات مع كأس دهاق من الاتاي، ولو كان الرياض معتنى به اعتناء حضريا خاصا لكان ثانيا بديعا[1] آخر قلما يوجد له نظير في الحواضر بكل اوصافه المتقدمة ، بل ينفرد بتلك العين التي تفور في وسطه ، ثم يشق ماؤها المكان الافيح في جعفر واسع، جمع الربع الشمالي منه. لكن هل هذا كله شغلني عن الاستفادة من مثل الاستاذ ابن الحبيب؟ كلا والف كلا. فاننا كنا رأينا في الحواضر بين الابنية ما كان استوفى منا الباكورة من العجب الذي يندفع من الانسان متى رأى شيئا يعجبه اول مرة. فقد ظللت اسأله ونحن ندخل الى هذا الروض الاريض عن يحيا الجراري صاحب الفهرست، فقال لي : انه من إدبـن شعيب، في قرية الركادة، ولا يزال ابن ابن ابنه حيا وسماه ورفع نسبه. وسألته هل يعرف عنه شيئا آخر فقال: لا،أقول، ان فهرسته رأيناها عند الفقيه ابن كبور بمراكش، ثم انني رأيت له اجازة اخرى لشارح المرشد الادوزي وهي كبيرة ولعلنا بعد اليوم نقف ايضا على آثار له اخرى. وقد وقف بنا الخليفة امام خزانة الكتب في جنوبي هذا المكان، وقال ان مفتاحه كان لا يفارق والده ، ولذلك كان معه في سفره الذي لم يرجع منه الى الان منذ نفته الحكومة مختتم 1356 هـ قال وقد ارسلنا اليه مرارا ليرسله ، فنتعهد الكتب من الغبار والارضة فقال، ان بركة الكتب تدفع عنها، وقد اطللنا عليها من نافذتين فتحتا للهواء فرأينا الكتب مصفوفة، وقد سألت قيمها الاديب محمد بن سعيد عن عددها فذكر انها تناهز ما فوق الالف وفيها مخطوطات قيمة واكثرها مطبوع .

ثم رجعنا فوقفنا ثانيا على منبع العين الشرارة فحين تبينت صفاء المنبع وعذوبته وبرودته تذكرت الماء الذي فاظت نفس المأمون العباسي ازاءه كما في التاريخ فقلت : يا سبحان الله ما اعظم ملكوت خالق السموات والارض ، ثم اقبلنا الى الخروج من الرياض العجيب، فتلقانا الرجل الصالح سيدي احمد بن السائح من اصحاب والدنا المرتوين منه ، وهو شيخ مسن يتعهد اولاد القائد

1) البديع بناها احمد الذهبي بمراكش .

بالتعليم ، ويؤذن نهارا ثم يروح الى داره ثم يأتي صباحا وهكذا دواليك منذ نحو 20 سنة او اكثر، وقد كان في شبيبته لصا مخيفا يذكر قبل ان يتوب على يد الوالد ثم استحال الى ما نراه عليه فان لم يكن الاكسير هو هذا فلا اكسير في الوجود، لص مخيف لا يبقي على احد، فاذا به بين عشية وضحاها تقي نقي زاهد في كل شيء ممن يمشون على الارض هونا[1] ثم ودعناه فصرنا الى رياض آخر دون الاول سعة وان كان يشبهه او يماثله في تنظيمه، فتمشينا في مماشيه ما شاء الله، ثم أوينا الى قبة فيحاء جرداء بيضاء، ريثما تهيأ السيارة، فقد امر بها الخليفة ان تخرج ، وآلة الغازوجين الموجودة اليوم لا بد من سعة وقت في تهيئتها ، فهذان الروضان الكبيران كل ما رأيناه بين مباني (تالعينت) الكثيرة الشاهقة، وفي بعضها قصور كهذين المكانين ، تستحق ان توصف بما قاله خالد البلوى الاندلسي في رحلته «نزلنا في قصر من الديار. ودار من القصور، تخجل منها الدور، ويتقاصر عنها القصور، وتقر لها بالقصور ،

دار مشى الاتقان في تنجيدها	حتى تناسب روضها وبناؤها
مرقومة الجنبات ذات قرارة	يمتد قدام العيون فضاؤها
مازال يضحك دائما نوارها	في وجه ساحته ويلعب ماؤها

ثم ركبنا السيارة انا والخليفة والاستاذ ابن عثمان، والفقيه علي ابن الحبيب ، فمررنا بعد خروجنا من باب من ابواب (تالعينت) بمقبرة عن يسارنا في وسطها مشهد للفقيه محمد ابي الاذن صاحب فتوى حول هذه العين الفائرة هنا ، منذ انبعثت حوالى 1130 هـ وفتواه (اورد عليها الشك منى الان) في الفتاوي العباسية، كما رأينا مشهد (إيجو) الادوزية، زوجة الفقيه موسى الدغوغي المتوفي 1250 هـ كما مررنا ايضا بمشهدسيدي محمد الاغرابويي المتوفى 1251 هـ روينا ذلك كله عن مفيدنا مؤرخ الجراريين الفقيه ابن الحبيب، ثم وصلنا (الركادة) حيث المنزه الذي ذهب بنا اليه مضيفنا الكريم ، فضلا منه واحتفاء واحتفالا واداء لحق الضيافة، فوجدنا سواد الزيتون طويلا عريضا، وعلى رأسه من الجهة

1) هو مترجم في كتاب (منية المتطلعين، الى من في الزاوية الالغية من المنقطعين).

التي اتينا منها منبع عين (الركادية) الشهيرة، وهي عين وقع عليها حافرلبير فسدها الجراريون ، فاذا بعين تزنيت غاضت الا قليلا ، فتبين انها هي ، ثم بعد التي واللتيا قسمتها الحكومة بينهما، وهاك ما كتبه العلامة الاكراري حول هذه العين، انقله من خطه. قال: (ليعلم ان عين الركادة مستخرجة منتصف المحرم 1330 ه ثم سدوا مجراها منتصف الثانية بعد زوال يوم الخميس 30 من المحرم 1331ه فطلعت على وجه الارض بمقدار ثلث ما فيها من الماء، الى اوائل رمضان 1336ه ففتح مجراها الكنتافي، فيراود عياد امرها ، فتم الامر على ان تجري كلها فوق الارض ، فيبقى النصف للجراريين، والباقي الى تزنيت، فصار الشغل فيها نحو عام تحت نظر المهندس ، فبني صهريج قسم فيه الماء، قال وقد تبين ان 67 سنتيما ذهبت الى تزنيت و 30 هي الباقية، ثم لما اصلح الجدول الى تزنيت وبينهما ساعتان بغليتان اجري الماء ، فوصل في 10 ساعات وذلك في اوائل 19 ـ 5 ـ 1345 ه. وفي اول ذي الحجة 1349 ه اتم عياد الصهريج بعد شغل دام ثمانية اشهر، فأقام فيه نزهة لرؤساء القبيلة في 22 ـ 2 ـ 1350 ه بعد ان احاطه بسياج . انتهى ببعض اختصار مني ، اقول : ان اشجار الزيتون صارت الان سوادا عظيما ممتدا في طول من حول الصهريج، وكل من غرس او اروى حقوله بالماء ، فإن نصف غلته للقائد عياد، وقد قاوم بعضهم ذلك بعد نفي القائد ، فدفع هذا الخليفة في صدورهم ، والامر لا يزال على ذلك[1] وقد مررنا على منقسم الماء في مسيل واطيء حين قربنا من الصهريج ، فنسمع منه خرير الماء ، ثم دخلنا ودرنا حول الصهريج الافيح، وفي ربع من ارباعه منزه، ولا ريب ان الذي هندسه قد رأى صهريج (المنارة) في الحمراء ، فإن لهذا شبها كبيرا بها ، وبها تبدو همة المشيد ما دامت الهمم لاتظهر عظمتها الا بألسنة البنيان، كما يقوله احد ملوك الاندلس[2] وقد طلعنا فوق المنزه وجلسنا في القبة المواجهة للصهريج وللبسيط الاخضر بالزيتون، فأتذكر حفلاتنا في منتزه (المنارة) مع اخواننا المراكشيين البررة،

1) ثم وقع النزاع في المحكمة الشرعية في تزنيت ، فحكم فيها لآل القائد عياد ، ثم استؤنفت الدعوى فنقض الحكم فحكم للاخرين.

2) ان الملوك اذا ارادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان .

وكان الوقت وقت الاصيل. فلا تسأل عن تأثير هذه الذكرى في قلب الغريب النائي.

ما جال بعدك لحظى في سنا القمر الا ذكرتك ذكرى العين بالاثر

وقد اديرت علينا هناك الكؤوس، وحلاوة حديث الفقيه علي بن الحبيب كانت نعم النقل على ذلك الشراب، ثم لما خرجنا وقفنا وقفة نسرح ابصارنا فى صفحة الماء واسارير وجهه يداعبها النسيم الذي يهب علينا عليلا، ولكنه لايروى من اشواق قلبى الى الذين استحضرهم وحدي غليلا فتذكرت البيت الذي دار بين المعتمد وبين الرميكية اذ قال الاول :

نسج الريح من الماء زرد

فقالت ، وهي اذ ذاك بين الغاسلات المبتذلات في ساحل النهر

اى درع لقتال لو جمد

ثم جرى على لسانى وقد اهوينا للتنزه من ذلك المنزه الحضرى لاالبدوى ما قال استاذنا مولاي عبد الرحمن البيزكرني في منزه صغير في دار شيخنا سيدي الطاهر :

هذا لعمرى منزه قد صارا لحسنه يستوقف الابصارا

وقد اخبرنا الخليفة ان في كل ربع من اركانه 80 مترا وهو من المنزه اطول من الجهة الاخرى وان كان يظهر انه مربع وقد اقترح علينا الخليفة كما يقترح بكل مناسبة ان ندعو الله ان يعجل برجوع القائد ، فدعونا الله اللطيف المجيب لدعوات المضطرين[1] هذا فقد ظللت كل هذه العشية هناك، وقد سألت ابن الحبيب عن (سيديّ بعبدلى) فذكر انه فقيه، وقد وقف له على مؤلف شرح فيه المقولات العشر، قال : كنت ذهبت الى تونس فهناك علمت انه تونسي وانه خرج من هناك مع قرينته، فمات هنا فرجعت زوجه مع ابن له صغير فمات هناك وعليه مشهد معروف ، هكذا قال ، ولكن ذلك فيه ما فيه، وقيل ايضا انه من اهل القرن السابع وانه صالح، وهناك ما يدل على هذا القول، كما علمت منه

1) رجع القائد في تلك السنة ثم مات قريبا .

ايضا ان سيدي موسى التادايغتي كان عالما يدرس العلم ويتعبد في مسجده وهو من اهل الحادي عشر. كما قال، ان ابن عبد الجبار دفين الابير، كان مع المولى الرشيد 1081هـ فمات[1] هناك كما افادنا قصة المكاوي وقد تقدمت، كما ذكران سيدي عبد الرحمن التزنيتي اشتهر انه من (فم إيسي) وانه من اصحاب سيدي احمد بن موسى . وانه توفي في حدود 1090هـ هكذا قال، ولوقال توفي (999هـ) لقرب الحال ، ولعل مقصوده 990 هـ أي في القرن العاشر فغلط، لان احمد بن موسى توفى 971 هـ وكما افادني الخير الكثير بلسانه وبقلمه في كتابه الذي أعاره لي طوال هذا السفر (تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس) فقد كان اتى به الى تزنيت، فلم يتيسر ان نتلاقى اذ ذاك ، فتركه لي فوجدته طافحا بالغرائب والعجائب وهو كاتب منشئ ساجع، يحلي كلامه بالحكم والامثال ولطائف الاخبار والاشعار، مع نزاهة حاول ان يلازمها في كل كتابه، وله خط رائق، بل قال اننا آل بوسليمان كلنا خطاطون حتى شببة نشاوا الان في الكتاب، ومن اعظم ما استفدته من ذلك الكتاب، الادب الجراري الزاخر، فهناك عشرات فعشرات من القوافي ترسل في كل مناسبة ، وذلك كله من تنشيط القائد عياد وولده الخليفة هذا. ثم رجعنا وأنا اسأله عن كتب افتش عنها، فقال لم اسمع عنها قط ، فصلينا المغرب في مسجد القائد ، ثم بعد الحزب تلاقيت مع الاديب محمد بن سعيد الذي تقدمت لي به معرفة فجددناها اليوم ، ثم جاء الخليفة وعليه قميص من قمصان الصحراويين المفتوحة الجوانب في لون كموني لبسه وحده للحرارة ، فقدمنا من المسجد، ثم مر بنا الى الزاوية الاحمدية ازاء المصلى مفروشة فراشا حسنا ، ثم الى روض صغير في داره الخاصة ، فهناك تعشينا ، وقد سردنا هناك بعض قصائد اتى بها الاديب ابن سعيد منها قصيدتان لي احداهما الرائية الابزوية التي مطلعها

اهذا جنان الخلد ام هذه ابزو   منى كل نفس لو يدوم بها الفوز [2]

---

1) هذا يخالف ما قاله في تاريخه من انه من القدماء وانه ادريسي .

2) ينظر في هذا الشطر الى قول ابن خميس :

تلمسان لو ان الزمان بهنا يسخو   منى النفس لاقصر الرصافة والكرخ

وليست من منتقيات القصائد لولا ابيات فيها وهي آخرها :

هنيئا لكم يا آل أبزو فهكذا يفوز ذوو السعدى ويستكمل الفوز
ظفرتم ببنت الشام طيبا ونضرة وآية ذا ان كان عندكم الارز
ظلال ظليلات وماء وخضرة فلله ما أحرزتم ساكني ابزو
وجو طليق مستطاب نسيمه امنه استمد اللطف نسجكم البز ؟
معاشكم الروض الاربض وغيركم مدى سؤله في كوخه الحيس والخبز
فياليت لي من منطق ابن خفاجة فيغدو بالوصف المشخص لي فوز
فآتي بالسحر الحلال بوصف ما لكم وحدكم من بين من ضمه الحوز
ليعلم كل الناس أن بلادكم اذا لم تك الفردوس فهي له رمز

كما سردت انا ايضا لهم قصيدة نونية نبوية لشيخنا المفلق الافراني وهي التي مطلعها :

تألق برق شق جيب الدجا وهنا فشاق لعهد في الابارق فالدهنا

وهي قصيدة مشهورة من فضيات قصائده النبوية التي تناهز ثلاثين ، وتستحق هذه القصائد النبوية ان تكون على حدة في محل خاص تنفرد به[1] وقد كنت حاضرا حين قالها شيخنا فأخذتها عنه ، وذلك في مولد سنة 1386 ه ثم سرد ابن سعيد اخرى للاديب عبد الرزاق السكرادي من أدباء الجراريين المكثرين، ولم تحضر عندي هنا لاثبتها ، وهي قصيدة فكاهية لطيفة يعتذر بها في يوم زاره فيه أدباء من اخوانه ، فيصف فيها كيف قابلهم ، وذلك قبل العشاء، وقد حضر معنا الاستاذ ابراهيم الرفاكي ، والاستاذ ابن عثمان ، والاخ الفقيه الحاج عبد الله الجراري ، وابن سعيد، واحسب ان الفقيه محمد بن محمد بن عبيل الغرمي حضر معنا ايضا مع الفقيه ابن الحبيب ، وهكذا احيط الكاتب بنخبة من العلماء الجراريين وقد اعدهم المضيف لاكرامي ، وقد عرف أنه لا يناسب الاديب الا الادباء ، وشبه الشيء منجذب اليه[2].

---

1) افردناها في ترجمته في (المعسول) على حدة بين آثاره .

2) للمتنبي، وتمامه، واشبعنا بدنيانا الطغام

ثم اخذ الخليفة اثر صلاة العشاء بيد الاستاذ ابن الحبيب قائلا له مداعبة ان حديثك الشهي ينسي الاضياف شهي النوم المريح ، فدعهم يستريحوا ، فبقيت والاستاذ ابن عثمان ، مع رفيقى الشريف محمد بن ابراهيم خال اولادى فامتددنا فى مضاجعنا وحول وجهي على عادتي دائما عند النوم كتاب «الخصيب» وهو كتاب آخر جمعه الاستاذ ابن الحبيب فى آثار والده ، قال : وهي كلها مصونة ، فرأيته يحشر فيه الادبيات ازاء الفقهيات ، مع أمور اجنبية عن آثار والده ، فاقترحت عليه ان يفرد آثاره الادبية على حدة وحدها في ذلك الكتاب ثم يجمع للآثار الفقهية جمعا آخر ، فربما يفعل ذلك، فيزداد الكتاب ازدهارا وقد رأيت فيه بعض آثار قيمة لذلك الاستاذ الاديب الكبير ، ومن تتبع آثاره واستخرج منها المنقحة ، فانه يخرج لنا صفحة ادبية جميلة من الادب الجراري الذي له لون انفرد به من بين آداب جوانب سوس .

الاحد 23

اصبحنا بنعمة شاملة نتجاذب انا والاستاذ ابن الحبيب مباحث وفكاهات لان له فى الفكاهة آيات، وبعد الافطار قلت انني محتاج الى رياضة على رجلي وقد احسست بما تعشيت به ثقيلا علي، فقال الخليفة كم يكفيك ؟ فقلت نحو خمس كيلومترات بين الذهاب والاياب، فقال أنا لك بذلك، وكان لايزال شابا جلدا وولادته كما اخبرني به 1317 هـ فهو اذن في الرابعة والاربعين فخرجت معه والحاج عبد الله بعد ما تلكأ هذا، يتبعنا الشريف رفيقى، فصرت اتحدث مع الخليفة حول أمور وأمور فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر(1) فمررنا ايضا بالعين الجارية من ذلك الرياض بعد ما خرجنا الى خارج السور، وهى عين كبيرة ، ولكن لا تكون هكذا الا بالتعهد فينة بعد فينة ، لان في اسفل منبعها شقوقا

1) لابن المعتز واوله

فكان ما كان مما لست اذكره

كان المتكلم في السياسة اذ ذاك يخاطب بمثل هذا التكتم ، ولو كان بسيطا ما يقول وقد اعجبني هذا الرجل اذ ذاك ولم ادر كيف انقلب على عقبه حتى صار على ما يقال فيه

لا بد من تعهد سدها والا فيتسرب الماء منها، وقد كانوا من قديم يلاقون عرق القربة متى زاولوا ذلك الا انهم اليوم اتوا بمغطس عصري يستمد النفس من عل بثالة تعين الغاطس، وقد رأينا الالة في الرياض الكبير ازاء منبع العين ، ثم اننا دخلنا في بساتين وحقول يتصل بعضها ببعض ، بطرق ومنخرقات، يظهر انها محدثة، وقد رأيت أن كل هذه البساتين والحقول التي مشينا فيها متصلة للقائد، ولايكون الامر الا كذلك،وخذ ما وجدته بخط الرفاكي حول قسم ماء العين،يظهر ان جل ذلك الماء قد حازه القائد وأهله على عادة كل القواد اذ ذاك، قال في 11 ـ 12 ـ 1843هـ زاد عياد على فرديات الماء ثلثها 14 على ان يقوم بمصالح العين، فرتبت الجماعة الماء على هذا: الاحد والاثنين للقائد، الثلاثاء لدحمان والبشير،الاربعاء والخميس للقائد، الجمعة لسعيد الازاريفي وإدبيه، السبت للقائد على ان تكرى هي وليلتها للجماعة، الاحد للقائد، الاثنين لاحمد وجبيري، الثلاثاء والاربعاء للقائد، الخميس لعبد الله ومحمد الاغرابوبي، الجمعة والسبت للقائد، الاحد لاولاد التهامي مع اولاد عباس ، الاثنين والثلاثاء للقائد ، الاربعاء لادبن داوود وإد المدني ، الخميس والجمعة للقائد، السبت بليلتها لعبد الله، انتهى توزيع الماء على 42 فردية يدور على اثنين وعشرين يوما كتبه محمد بن احمد هـ.

ودحمان والبشير وأحمد والتهامي من أسرة القائد، وعبد الله هو هذا الخليفة ، وقد اختصرنا قليلا من كلام الرفاكي ، ثم اننا سرنا نقطع تلك الحقول الى ان ابتعدنا كثيرا، فرجعنا في طريق آخر، وقد انشد الخليفة اذ ذاك لمناسبة :

فسيروا على سيري فإني ضعيفكم   وراحلتي بين الرواحل ظالع

وقد افادني انه سبط القائد ابراهيم الدليمي ، فقلت من هنا هذه التربية، والام هي المدرسة الاولى. وقد ذكر الحاج عبد الله انه حضر يوما للطلبة الجراريين وقد طلبوا من القائد عبد السلام تحريرهم، فرفعوا على يد خليفته عياد فطلب منهم ان يدعوا له بولد ، فقال طالب بل خمسة ، فقال آخرون بل

فوق العشرة، قال فازداد عنده هذا الخليفة، ثم تتابعوا الى أن كانوا على القدر الذي ذكره الاخرون من الذكور فقط، ومثلهم من الاناث، حفظهم الله من العين، وقد كان لابي الحسن المريني السلطان الاكحل ما بين سقط وميت وحي زهاء 3000 ولد ذكر، ذلك من تتبع ولادتهم وهو ابن مرزوق. هذا كما ان ابن زيري مؤسس مدينة وجدة، ذكروا انه انفق ان بشر في يوم واحد بسبعة عشر ولدا ذكرا، كما أن لمولاي اسماعيل خمسمائة من الذكور ومثلها من الاناث، ولعبد العزيز السعودي ازيد من ثلاثمائة ولد ذكر وولد ولد، عرفوا كلهم وبلغوا بين يديه، وهذا من اثر التسري، او من التزوج الكثير، وما كثر اولاد الشيخ ماء العينين الا لكونه تزوج مائة وست عشرة امرأة، وقد انشدنا الحاج عبد الله اذ ذاك :

اذا منح الاله لك العطية ... فإن الولد افضلها هدية

ثم رجعنا في حمارة القيظ، وقد اتى الارتياض بالسؤل، فحين حضر الغذاء ظهرت آثاره، ثم ان رب المثوى احضر نسخة من البخاري، فطلب مني وإن لم اكن لذلك اهلا، ان نتبرك بإلقاء درس حديثي، فافتتحت حول الحديث انما الاعمال بالنيات. فأمليت حوله قليلا مما استحضر، وهيهات هيهات، لعبث الخمس سنوات بالمحفوظات، فقد توقفت اثناء الدرس على اسم بريرة في حديث، ما بال اقوام الخ . . وعلى اسم ام قيس التي كانت سببا للحديث، فلم انتشلهما من أعماق الذاكرة الا بعد جهد بعد ذلك، هذا مع ان مثل هذا كان عندنا اذ نحن نحن على طرف الثمام، ولله الامر من قبل ومن بعد، وهكذا تاتي البادية على العلم . ولا ينبئك مثل خبير.

ثم عند الظهر عزمنا على السفر فقال الخليفة : لا بل ننتظر الى العشي فنحملكم على السيارة الى تزنيت، فلنرسل البغال الان، ولكن الله رحمنا فبقيت البغال حتى وكبناها لعدم صلاح آلة السيارة وتحتاج الى عمل، ثم لبينا ايضا دعوة الاستاذ ابى الخالة ابراهيم، فأحضر ايضا ما طاب، فحررت تراجم الفقهاء الحاضرين، كلهم للكتاب الكبير ان شاء الله، وقد لاقينا سيدي احمد بن

الحميدي فقيه المدرسة بعد ما زرت مع الخليفة صباحا تلك المدرسة فلم نجده وقد وعد الخليفة بإصلاح المدرسة لتعود جديدة وفقه الله ، والمصلى في الجامع متسع حضري الرونق، ذو بهجة ونضرة، ثم بعد صلاة العصر خرجنا ، وقد ودعنا (تالعينت) منشدين بلسان الحال، وقد خفنا ان يحملنا كرمهم العظيم الذي هو فوق مقامنا الواطيء بكثرة حتى لا نعود ، عملا بقول المعري :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم   والعذب يهجر للافراط في الخصر

وقد والله اخجلنا من هؤلاء ما نراه منهم من التواضع حتى انهم ليخدموننا بأيديهم، كأنهم عبيد ويقدمون الاطعمة الكثيرة المتنوعة مع مراعاتهم للادب في الحديث وفي الجلوس وفي كل شيء مع انبساط وانشراح وطرح الحشمة وعدم التصنع، فقد والله انجب الجراريون ما تقر به العيون' فشباب كهؤلاء منحاشون الى التواضع مع الغنى وبسطة اليد من النعم العظمى .

نعم الاله على العباد كثيرة   وأجلهن نجابة الاولاد

فأين من هذا الشباب الجامع لكل هذه الاوصاف (وما شهدنا الا بما علمنا مشيدين للحق ، لامرققين عن الصبوح) بعض شباب مترفين ، نشأوا نشأة مشنوءه ، فأول ما يستنكرونه الاخلاق الدينية والعبادات المفروضة ، واهل العلم واهل الدين ، وأول ما يستعظمونه الاخلاق السافلة مما تجيش به حضارة اليوم من حمأة هذه المدنية الغربية الكافرة الفاجرة، فلا حياء ولا ادب ولا اخلاق (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو، فاحذرهم، قاتلهم الله ، انى يوفكون) هداهم الله ووفقهم لدينهم ولوطنهم ولرفع شأن شعبهم الابي .

خرج معنا المضيفون ويدهم في ايدينا تتناجى بما تتناجى به من نصح ثمين بيننا، حتى قطعنا كثيرا ، ووصلنا الى قرية خارج (تالعينت) فهناك توادعت معهم ثم ركبت بل ابوا الا ان يأخذوا الركاب بأيديهم، حتى ركبت، جزوا كل خير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، ثم سرت مع الاستاذ ابراهيم والاستاذ ابن عثمان، نتجاذب ابحاثنا الى ان وصلنا قدام (الركادة) فتوادع

معنا سيدي ابراهيم، لانه مكلف بشغل تقتضيه وظيفته، فاخوض مع الاستاذ الاخر في مباحث الى تزنيت، وهو يتأسف على عدم اخذه للحديث وعلمه كما ينبغي.

الاثنين 24

وصلت امس فصادفنا العلامة الناظر وأخاه القاضي في انتظارنا، فدخلت مع الاول حول كتاب كان الاستاذ ابن الطاهر ارسله الي بتزنيت ، فتناولته فإذا فيه اجازات كثيرة للازاريفيين وفهرست الهشتوكي احوزي المشهورة (بقرى العجلان) وهو مجموع نفيس اخذته لانسخ ما فيه لكتاب (المعسول) ان شاء الله ، ثم بعد ان افطرنا ذهبنا الى نظارة الاحباس ، فاتانا آت بكتاب فاذا به اجازة ابن العربي للتاموديزتي ، وبعد العصر ذهبت معه الى الاستاذ الفقيه سيدى احمد بن صالح التادارتي البعمراني ، وقد سكن في تزنيت فاصابه فالج اعاذنا الله . فخرج الينا ولا يكاد يستمسك ، فاعنته مع صاحبى حتى اجلسناه على كرسي، فظللت اقيد عنه العلماء التادارتيين ، ولا اكتب عنه الا الملخص خوف ان ينقطع دون ان يكون لي طرف من حياة كل واحد منهم ، فاتتبعهم الى آخرهم ، وقد ذكر ان تحت يده قصائد وءاثارا لا يمكن الان ان يستلها من القمطر لمرضه ، فعذرناه متاسفين على عدم استيفاء كل ما نريده ولكن نعود فنقول : ان لم يصبها وابل فطل

الثلاثاء 25

كنا تغدينا هذا اليوم عند السيد عبد الله المقدم فصادفنا هناك عبد الله الجراري وقد اخبر اننا هناك . فاتى الينا ، ومعه اخ صغير ذكر انه اصيب بجنة وان اختا له دخلت المتوضأ فاذا بها مغمى عليها ، فحملت وهي تهذي وتصرخ فاتى اليها براق ، فحين شرعت في البرء صار اخوها هذا يأخذه مثل ما كان يأخذها، فأتى به الى الطبيب ، غير ان الطبيب الاوربي يعجز في مثل هذا ، فقلت له يجب على الانسان ان لا يدخل المستراح الا بعد ان يقول : بسم الله مع قوله. اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث ، كما في الحديث ، وفيه ايضا ان هذه الحشوش مسكونة فبادر بكتابة ذلك الدعاء ، وذلك مما يدل على عنايته،

وفي هذا اليوم كتبت عن السيد الحبيب التزنيتي ترجمة والده الفقيه محمد ابن احمد بن علي من ايت محمد (فتحا) كما حررت ترجمة القاضي اعمو ، وقد كنت حررت ترجمة صنوه الناظر في المرة الاولى ، والكل في (القسم الرابع) من (المعسول)، وفي هذا اليوم توصلت بكناش كله بخط ابي فارس الادوزي ، انتقيت من فوائده للكتاب المذكور الشيء الكثير ، وقد رأيت فيه مشجرات اليعقوبيين على تشعبهم اليوم، وفي الكتاب ايضا مؤلف في علم الزناتي مبتور وكان الاستاذ الادوزي يتعالى الى تعاطيه، غير انه لم يتقن فنه، كما رأيت فيه (الامنية في ادراك النية) للقرافي و (المذهبة في الحلي والشيات) لابن مناصف والكناش الان فى يد سيدي عبد الله العويني.

الاربعاء 26

زرت اليوم الاستاذ الكبير المتطلع الحاج احمد الجراري استاذ مدرسة تزنيت فحررت عنه لكتاب (المعسول) ترجمته وترجمة والده واخ له واستفدت منه الخير الكثير : من ذلك عالم يسمى ابراهيم بن احمد بن عبد الرحمن الشاهدي السملالى الكجكالى التازروالتى مسكنا ، اخذ عن بعض السوسيين ثم في الحمراء : عالم حسن نحوي مشارك لم يعقب، وربما اتجر، توفي 1340 ه واخذ ايضا من بونعمان عن مسعود وعن ابنه محمد، وهو ينسب نفسه الى تومانار ، ومن ذلك ايضا العالم سيدي ابراهيم الالمتني الرسموكي، أخذ عن الحسين الازاريفي، مشارك يعين في التدريس بآزاريف عصر استاذه ، وربما زاول النوازل مع ابي فارس في قبيلته، وقد ضرب مرة برصاصة ظنا من الرامي انه ابو فارس في غلس الصبح يتوضأ او يصلي فحفظه الله، وكان سنة 1303 ه. مشارطا في ايت برايم، فأخذ المقولات عن ابن المواز حين جاء مع الملك المولي الحسن، وله خط عجيب، قطن ازاريف في المدربة الى ان اسن، فسكن في بلده يزاول نوازل قبيلته الى ان توفي نحو 1350 ه قال الحاكي: رأيت له مجموعة في «اخبار الهيبة» قدر كراسين وهو في ازاريف اه

وقد كنت اجالس في كل عشية هذا الاستاذ فيفيض علينا بأخبار الحجاز،

ودارت مذاكرات في المجلس منها التجاء المجرم الى اضرحة المشائخ، كما ذكره التسولي، وان ذلك لايصونه، وقد سهرت معه عشية في هذه الليالي مع العلامة احمد اعمو الناظر والاستاذ ابن عثمان الايكراري أتلو عليهم رسالة الكرسيفي التي رد فيها على الفاسي، فأعجبوا بها الى الغاية ، وهي رسالة فذة ، والجراري دراكة مطلع غريب في مطالعاته في الكتب السلفية القديمة التي طبعت حديثا، فيتفوق بها في المباحثة، وكان وهابيا جريئا في اعلان الحق كما يراه، لا يحترم احدا، فوجدت له في تزنيت ما وجدته مما لا يكون حوله لو كان يعرف كيف يأكل الكتف ، وهو من اودائنا من قديم ، وترجمته الواسعة توجد في المعسول ان شاء الله[1]

الخميس 27

كنت توصلت امس بكتاب قديم من عند الاستاذ علي بن الطاهر الذي واعدته على المجيء الى تزنيت ، فحصل له عذر فكتب من رسالته الي منها: هاك مع حامله ما تيسر مما اكدت عليه، مع كتاب فيه رسائل ، وبعض فوائد لابراهيم الظريفي ، وفيه رسالة لابنه محمد بن ابراهيم الذي قلت فيه هيان بن بيان حين ذكرته في بعض كتبك ، ارسلها الى ابيه حين قرأنه على شيخه الشرحبيلي بدرعة ، فالحمد لله على اكتشافه ، وكذلك عبد الله الازاريفي صاحب (المقامة) فهو ابن محمد ابن يحيى الازاريفي وقد انعم سيدي الحسن بعرض كل خزانته امامك متى وردت عليه، وقد اخبرنا بأن منظوم (اخبار الزمان) للكرامي وهو منظوم (بدء الدنيا) ، ينيف على 1900 بيت وسيرسل ما وجد منه في خزانته، وكل ما تيسر على ذلك المنوال عن قريب فالله يجزيك بأحسن جزائه حين نبهتنا بعد أن نمنا بل متنا، وقد وجدت في كتاب مؤلفا في آداب النكاح ، شرح بعضه مؤلفه وأكمله ابنه، وقال الابن في آخره بيت :

لخصه محمد بن الحسن   وقاه مولاه جميع الفتن

---

(1) توفي هذا نحو 1374 ه

قال في الشرح، ان اسم الناظم احمد بن محمد بن الحسن الحامدي القبيل البكراوي الاصل الماسي الدار وبها نشأ وهو رحمه الله ذو علم وحلم وتبحر في علوم شتى ، فقها وحديثا وتفسيرا ونحوا ومنطقا وطبا وعروضا وغير ذلك، وصنف تصانيف عديدة ، منها هذا وشرح الميراث للرسالة ، عمل فيه جداول ، وتذييل للخزرجية في العروض ذلل فيه صعبها ، وشرح الوتريات البغدادية ، وشرح لامية الزقاق ، ولم يتمه وتئاليف «كذا» على الميراث وتأليف في الطب ولم يكلمه ، وقال لى بعض اصحابه بدأ نظما فى السيرة النبوية ونظم فيه 3000 بيت ولم يتم ، ولكن ما رأيته في كتبنا، وغير ذلك ، وله اشعار وقصائد وكان رحمه الله ممن سهل عليه النظم اخذ عن شيوخ اجلة ، وممن وجد بركته ظاهرا وباطنا ، شيخه السيد محمد ابن يحيى الشبى الحامدي ، وكان قد دعا له وتكفل له بكل فن من العلوم ، لقصة طويلة لا يسعها هنا ، وله اجازات من علماء وقته كالشبى المذكور ، والسيد احمد الغربى السلاوى وابي عبد الله جسوس الفاسي وغيرهم، الى ان قال في آخر الشرح المذكور : قال ناسخه عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن الحامدي الخ ما باعلاه ، هنا تمام ما رمنا من اكمال هذا الشرح، وقد تبعنا فيه ناظمه على قدر الاستطاعة اه الغرض منه. والغالب على الظن ان هذا السيد جد الالياسيين الماسيين ، فليبحث سيدي عن ذلك

فنبه لها عمرا ثم نم [1]

هذا ما افادناه ايضا الاستاذ ابن الطاهر، والمذكور ليس بجد الالياسيين كما علمته من الفقيه احمد بن محمد الالياسي واما كتابه فقد بكرت فى دار القائد مبارك التزنيتي وقد تناولنا اللهنة عنده أورقه ورقة ورقة ، فوقعت فيه على كنوز لا تقوم ، من رسائل علماء الحادي عشر واوائل الثانى عشر، جمعها احمد ابن ابراهيم احد الادوزيين مع امور اخرى كنت اطالعها بتلهف عظيم والاستاذ ابن عثمان الجالس ازائي يشاركنى احيانا فى ذلك، فمن جملة ما فى ذلك الكتاب

1) شطر بيت لبشار ، واوله اذا ايقظتك حروب العدا

اولا ـ محرر في مشيخة احمد العباسي في صفحة وبعض اخرى

ثانيا ـ اجوبة له في 15 صفحة لعلها توجد في فتاويه المشهورة المطبوعة

ثالثا ـ شرح (نتيجة الالهام في دار السلام) وهو منظومة خالد الكرسيفي الشهيرة ، والشرح لحسين التاغاتيني ، وقد كنت رأيت الشرح الصغير له ، فهذا هو الكبير ، وقد ملأه بنقول ، وسماه (وسيلة الاحلام الى نيل الافهام نتيجة الالهام) ينقل عن كتاب (زهر الاكمام) وقانون ابن العلابي ويذكر ابا المعالي والغزالي وابن العربي والباجي والجزولي وابن عطية والزجاج وغيرهم مع امثال مجاهد والكلبي ومقاتل والحسن البصري، ويذكر الاحاديث والاثار ، على ان الشرح مع ذلك بسيط، لايدل على تضلع، وقد يوجز كثيرا فلا يتجاوز حل الابيات وهو في ـ 138 صفحة في نحو 29 سطرا، وفي ورقات بالوسط خرم مستدير ، كتبه محمد بن علي بن احمد بمنكب موسى لطف الله به في تاريخ 27 ـ 2 1159 هـ كما قال، وقد وجدت في ٱخره ما يدل على ان هذه النسخة هي النسخة التامة ، لا نسخة اخرى كان عليها خط احمد بن سليمان الرسموكي الفرضي، وهذه النسخة الموصوفة مكتوبة لاحمد ابن ابراهيم الادوزي الذي جمع كل هذا المجموع .

رابعا ـ شرح سينية ابن بادس لابن الحاج المشهور في 78 صفحة مصونة بلا خرم ، كتبت 1149 هـ بخط احمد بن ابراهيم صاحب المجموع .

خامسا ـ قصائد لابراهيم الظريفي ستة واخرى لاحمد بن محمد الاسغاركيسي واخرى لاحمد الصوابي .

سادسا ـ متن الالفية في السيرة للعراقي المطبوعة .

سابعا ـ مجموعة الرسائل والفتاوي في نحو 95 صحيفة ، فيها نحو 27 سطرا ، فيها نفائس من بينها مرثية عبد الله بن يعقوب للتاغاتيني احمد الشاعر وأخرى للقاضي التامانارتي فيه ايضا ورسائل في تأبينانه بل كل ما في المجموع نفيس غير ان ست صفحات في الوسط اختلط فيها الحبر في اعاليها، حتى لا تقرأ، وفي اخرياتها ما ألحق بالجموع الاصلي الذي كان

جمعه ككتاب احمد بن ابراهيم بن محمد بى عبد الله بن يعقوب .

هذا هو الكتاب العظيم الذي اتحفنى به من جديد الاستاذ علي بن الطاهر جزي عن احياء الاثار خير جزاء ، فأين لنا كثيرون من أمثاله .

وفى وسط النهار تغدينا فى دار الفقيه سيدي ابى بكر معين القاضى ، وقد كان حاضرا الاستاذ العلامة الناظر والاستاذ ابن عثمان والفقيه المطلع الحاج احمد الجراري ، والاديب يوسف بن الطاهر ، فدارت المذاكرة حول التوسل والاستغاثة ، فتجاذب البحث حولهما زمنا، الجراري وابن عثمان، وقد اقر الاخير بأنه لم يكن اطلع على الخلاف فى الموضوع قبل بين المحدثين . غير اننا ختمنا المجلس بذكر ما يراه الالوسى من الجواز فى التوسل، ومن ان الاستغاثة بغير الله هى الطامة الكبرى التى يقع فيها بعض الناس (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز) صدق الله العظيم .

ثم ختمنا اخيرا البحث على جواز التوسل على خلاف فيه ، واما الاستغاثة فلا يمكن ان يتوقف مسلم في ان المستغيث كافر ان اعتقد المستغيث مدلول ما يقول ، ورحم الله الوالد الذي كان يمنع اصحابه من ذلك منعا باتا، وله فى ذلك حكايات معهم ثم تلوت عليهم بعض ترجمة الجد ابن العربى وارجوزة اتائية من رحلته وهي ممتعة ثم جاء الاخ من سفره ذلك النهار فتبدى لنا قرب الرجوع.

الجمعة 28

ظللت مشغولا بالبني عبد الله لضرر بعينيه ، بعد ما افطرنا عند الفقيه العدل سيدي محمد السماهري وقد أفاض علينا خيرا كثيرا، وحررت ترجمته[1] ثم ادينا صلاة الجمعة في الجامع والخطيب هو الفقيه سيدي الحسن السنطيلي ولا يكاد يسمع مع قربنا اليه في الصف الثاني ، ويذكر بكل خير، ثم تغدينا

1) توفي هذا السيد بعد ذلك وشيكا وترجمته في (المعسول) .

عند الفقيه الحسن العفياني[1] صاحبنا وصفينا ثم آويت الولد الى الدار من أجل عينيه ، وفى هذه العشية اظن لاقيت وزير الخليفة السلطانى وهو فقيه مراكشي يسمى سيدى محمد الجبابذى فقابلنى بحسن ملاطفة قائلا : جزيت خيرا عن الخير الذي تركته بمدينتنا ، فلقد بكى عليك يوم نفيك حتى المخدرات. فقلت ذلك فضل الله، وهو هادىء الطير منحاش الى العزلة[2]

السبت 29

تهيأنا ليلا فقد راح علينا الاهل والاستاذ الناظر يتأسف على قرب الفراق وينشد :

لا مرحبا بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة في غد

فأجبته :

سلا احبته من لم يمت كمدا يوم الفراق وان أجرى الدموع دما

فحين صلينا الصبح وتناولنا القهوة غلسنا بالمسير فطلعت علينا الشمس في جهة (تيغمي) ثم نتسلق أفود ، فاذا بالسيارة تقف مرات من الحرارة الجوية التي بكرت في اليوم ، فتركت الآلة حتى بردت ، فأصلحت فطلعنا ثم لم نقف الا في الغ عند الضحاء العالى فنزلنا شاكرين الله على الوصول بسلامة .

كملت الرحلة صبيحة الاحد 15 ـ 5 ـ 1361 ﻫ بعد ما كنت اكتب فيها فى بعض الايام اوقاتا ختم الله علينا بالايمان والاسلام وجعلنا سعداء في الدنيا والاخرة .

---

1) توفى نحو 1371 ﻫ

2) توفى بعد ذلك بقليل .

فهارس الرحلة الاولى من خلال جزولة

الاول في الفهرس العام

الثاني في المترجمين في ثنايا الرحلة

الثالث فى عناوين الايام التى اسست عليها الرحلة

الرابع فى تصحيح الاغلاط المطبعية

الفهرس الاول

في تتبع عناوين ما في الرحلة، ورؤوس كل ما يذكر فيها في عرض الاحاديث

صفحة

الفهرس الثانى

فى المترجمين فى ثنايا الكتاب

الفهرس الثالث

فى عناوين الايام التي اسست عليها الرحلة

الفهرس الرابع

في تصحيح الاغلاط المطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
من المقدمة	6	يضنون	لا يضنون
6	6	المسافرين	المسافرون
6	10	ان يمر	ان لايمر
8	22	من سنتها	من سنتنا
11	15	احمد ابن احمد	احمد بن احمد
13	7	ممن آلوا	ممن قالوا
14	2	النبه	النبيه
14	3	صدق الخبر	صدق الخبر الخبر
14	12	ان يتلوا	ان يتلو
14	21	الغذا*	الغدا*
15	7	بحفيذه	بحفيده
16	18	غوت	غوث
18	4	الغذا*	الغدا*
19	21	للغذا*	المغدا*
20	8	الخميس 7	الجمعة 7
20	18	بتلك	تلك
23	3	نساله	سالته
25	1	من خير	من خور
29	18	في المزايد	في المزايدة
32	18	لا سنحوذوا	لا ستحوذوا
34	21	ودينيه	ودينه
34	في الحاشية	حرفها	جرفها
35	7	بنفل	بنقل
37	19	التلقيمي	التيلضيمي
38	8	لانه	لانهم
39	7	فآوى	فآوى
41	14	السويدي	السويرى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
44	في الحاشية	1356 هـ	1377 هـ
48	1	لا ليطرد	ليطرد
49	22	عن الدين	على الدين
49	24	فيثزجر	فينزجر
51	12	رزنا	زرنا
55	6	واباه	واياه
57	20	الزرقاني	الزقاق
58	7	ان لم اطلك	ان لم اطلقك
58	22	رشحه عمه لمحاربة محمد	رشحه لمحاربة عمه محمد
58	24	معه هذه	معه في هذه
59	4	اثم	اتم
59	22	حتى على	حتى عن
60	2	الطبيب	الطيب
63	6	التامكدلتي	التاسكدلتي
66	20	حقا الادراك	حق الادراك
67	في الحاشية	من الممتاز	من الممتازين
68	18	موثر	موتر
68	22	شأنه	شانه
70	6	محمد احمد	محمد بن احمد
72	2	غرض الحياة	عرض الحياة
74	22	كل ما كان	كما كان
75	22	ببض	بعض
82	22	ابا زغيبة	ابا زغيبة
88	9	ادركرا	ادركو
89	13	فلقت	فقلت
91	15	فممرنا	فمررنا
91	22	على ازور	على ان ازور
93	14	عصاه	حصاه
96	10	عليها	عليها
99	12	ما تلونا	ثم تلونا
99	12	التنبي	المتنبي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
100	6	حسن	خسن
103	3	خنديذ	خنذيذ
103	في آخر الحاشية	يطاويل	يطاول
106	9	فاستنهضا	استنهضنا
106	19	من الرياضيات	من الرياضات
107	10	وسباه	وسماه
107	20	الشرارة	الشرارة
107	24	السائج	السائح
108	16	علي ابن الحبيب	علي بن الحبيب
109	11	في اوائل 19 ـ 5	في ـ 19 ـ 5
111	22	الرائية	الزائية
112	13	فضيات	فضليات
112	23	منجدب	منجذب
114	23	فرفعوا	فرفعوه
115	4	ولد ذكر. ذلك	ولد، ذكر ذلك
115	12	الغذاء	الغداء
116	15	مشنوءه	منشنوءة
117	2	في مباخث	في مباحث
118	22	في المدربة	في المدرسة
119	1	المشائخ	المشايخ
121	21	27 ـ 2 1159 هـ	27 ـ 2 ـ 1159 هـ

انتهى ما تيسر الوقوف عليه من الاغلاط. وهناك اغلاط اخرى كزيادة الف في ابن علمين في محلات، وكسقوط بعض النقط كالنواجذ وكثبان وتراث وزيادتها في نحو سد مصدر سطع سطيعا مع ضمير الها، الى امثالها مما يدركه المطالع بسهولة، فلم يمكن لكثرة الاشغال التتبع التام، والى القاريء المعذرة.